الجزء الثانى

# افتقاد القاعدة العلمية وتأثيرها يساوى

# افتقاد المنهجية العلمية الصارمة فى إدارة الأزمات

# وفى التناول الإعلامى لملفات الحوار داخل الثقافات وعبرها :

# (أمثلة من الواقعين العربى والدولى)

obeikandl.com

obeikandl.com

# تمهيد للجزء الثانى

نقدم فى هذا الجزء الثانى مجموعة من الأطروحات الإعلامية التى قدمناها فى مجموعة من المقالات التى حاولنا من خلالها تقديم ظواهر «اللوغاريتم المصرى» حيث كان أداء إرتباط البحث العلمى بالواقع مرتفعاً فى حالات قليلة، كما كان فى إدارتنا لحرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣ كما أوضحنا ى آخر ما ورد فى الجزء الأول م هذه الدراسة، ثم نوضع فى هذا الجزء الثانى كيف افتقدنا ولازلنا نفتقد المنهجية وإرتباط البحث والتفكير العلمى فى أطروحاتنا خاصة فى قطاع الإعلام الذى يعانى الكثير من الممارسين فى إطار للتفكير العلمى والمنهجى الدقيق، وهو الأمر الذى يفاقم أزماتنا سواء فى تفاعلاتنا الداخلية أو الخارجية ... إن تدشين فكر ومفاهيم «القاعدة العلمية بالمعنى الواسع للمفهوم كما نتبناه فى هذه الدراسة من شأنه إدارة أعلامنا وأزماتنا بأسلوب أقرب للعملية والمنهجية التى سيكون لها عائد إيجابى على كافة أعمالنا التنموية، والله وراء القصد .

obeikandl.com

obeikandl.com

# أولاً: فى موضوع ملفات الحوار فى واقعنا الثقافى

## ١ - كم لغة للإعلام فى مصر ؟!

القارئ للصحف المصرية اليوم لابد له أن يشهد بمساحة غير مسبوقة من حرية الرأى والرأى الآخر، ولكن نفس هذا القارئ قد يشهد كذلك أنه عندما يقرأ الصحف القومية فكأنه فى بلد، وعندما يقرأ صحف المعارضة فكأنه فى بلد آخر، والمشكلة الحقيقية تتمثل فى ضياع الحقيقة أحياناً، ووجود تغطيات صحفية متناقضة لدرجة ١٨٠ درجة فى موضوعات بعينها. والشاهد الدقيق على ذلك يحتاج إلى دراسة كاملة، والأمثلة كثيرة للغاية، ويبدو هذا لغياب ما اسميه فى عمليات التفاوض الإعلامى «بمباريات المعلومات الدقيقة» و «آليات الصمت السلبى» حيث تصمت جرائد عن موضوع ما، وتفتحه جرائد أخرى على مصراعيه بمعلومات لاينكرها مسئول أو يصدق على صحتها، وهنا تنشأ بلبلة فكرية، وعدم مصداقية أو فقدان ثقة فى معرفة حقائق الأمور، فعلى الرغم من أن الفجوة التى نعانى منها هى فجوة ثلاثية تتمثل فيما أسميه فى دراسة سابقة «بمثلث الأزمات الثقافية» والذى تتشكل أضلاعه من «فجوة الإدارة» و «فجوة المعلومات» و «فجوة رد الفعل المتأخر».. إلا أننا سنركز هنا فقط على ما يخص الضلع الثانى، والمتمثل فى «فجوة المعلومات» حيث نرى أنها كانت فى إدارتنا للكثير من التفاعلات الإعلامية تتمثل فى افتقاد المعلومات ونقصها عموما. أما اليوم وبعد «الانفجار المعلوماتى» الذى يشهده العالم، نجد أن هناك ما يشبه «الفوضى المعلوماتية» فى إعلامنا.. فهناك معلومات كثيرة مختصرة وناقصة أحياناً ومعلومات أخرى غامضة، وصاغها «الفلتر الذهبى» للجريدة أو المحرر أو كاتب المقال بما أفقدها حقيقة الأمور التى ينبغى للإعلام الحر إن يحافظ عليها فى أول الأمر وآخره.. والآن وإذا كان واقعنا اللغوى معروفا بوجود ما يسمى فى علم اللغويات الاجتماعية بظاهرة «الدياجلوزيا» 'Diglosia' وهو مفهوم علمى يشرح وجود «لغتين» أساسيتين إحداهما «فصحى» والأخرى «عامية» وأضف إليهما ثالثة اليوم تسمى بلغة «الروشنة»، فإن إعلامنا يتسم اليوم بعدة «لغات» هو الآخر، نحاول وصفها بشكل أولى مع التمثيل الموجز فيما يلى :

«١» إعلام لغة الإثارة والصحف الصفراء.. وهذا يحتل مساحة مع الأسف كبيرة فى تفاعلاتنا الإعلامية، ويبدو هذا حتى من تصميم الصفحات.. والصفحة الأولى تتفجر بالعناوين المثيرة واللعب على المعانى، ولا ينقصه صور الإثارة بمختلف معانيها.

«٢» إعلام لغة الصمت والغموض.. فحين يتكلم العالم كله عن موضوع مهم تجد ممثلى هذا الاعلام يمارسون أسلوب النعامة وتجاهل الموضوع برمته.. أو تحجيمه فى أقل سطور غامضة.

«٣» إعلام لغة الاندهاش والتجييش والانفعال المنفلت، حيث يترك العنان إلى لغة العاطفة فقط لتتعامل مع موضوعات كثيرة، ويكون الأمر فى غاية الخطورة عندما يتعامل هؤلاء المندهشون والمجيشون مع موضوعات قد تمس الأمن القومى بصور غير مقبولة.. فلاتوجد خطوط حمراء عندهم من أجل الصالح العام.

«٤» إعلام الاقصاء المتبادل، وممارسة التسلط وادعاءات كثيرة، والعصف بكل المبادئ والقوانين والتقاليد، وكل ذلك تحت مسمى «التنوير» أو «حرية الرأى»، ظلما وخداعاً، وهؤلاء الذين يمارسون هذا النوع من الإعلام يسهمون بشكل مزعج فى تأزيم العلاقات وتحويل المجتمع الى معسكرات متقاتلة ومتناحرة ومنتقمة من بعضها البعض، هؤلاء من «التنويريين الجدد» أبعد ما يكونون عن مفهوم التنوير الحق.. ويزداد رصيدهم من الضحايا من جراء ما يقترفون، ويصل بهم الأمر إلى الاستخفاف بأكبر رموزنا الثقافية دون حرج وبجرأة غير مسبوقة على الحقوق والشخصيات.. وهذا من أسوأ أنواع الإعلام الذى لابد أن يتم ضبطه وإلزامه وردعه من خلال أجندة جماعية يضعها كل الغيورين على النهوض بمستوى مفهوم الجودة الإعلامية فى واقعنا الثقافى.

«٥» هناك لغة إعلام، غير مرئى مخيفة، حين نسمع هنا من خلال أخبار من يتربحون من المنابر الإعلامية بسرقتها وسرقة أموال المصريين كلهم، وهم من أطلق عليهم مؤخراً تعبير «بارونات الصحافة والإعلام»، ووقائع التحقيق الرسمية فيما احتالوا عليه من الملايين والمليارات اصبحت معروفة للجميع.. مع كل الأسف.

«٦» هناك الجانب المشرق كذلك، والمتمثل فى لغة المهنية والحرفية المرتفعة والمنهجية والموضوعية، وهذا ما يبعث بالضوء فى آخر النفق المظلم، ويبعث بكل الأمل فى استنهاض إعلام حر مسئول. وإذا كنت غير راغب فى إظهار أسماء فى الفئات الخمسة السابقة فإن جمهور القارئين على علم بهم، كما هم على علم بقادة الإعلام الحر والمسئول والملتزم فى واقعنا الثقافى، الذين تقع على عاتقهم مهمة إستنهاض قدرات هذا الوطن فى الاتجاه البنّاء والسليم .

خلاصة هذا المقال هو الدعوة إلى ضبط عدة معادلات مستقبلية مهمة تتمثل فى الآتى :

«أ» معادلة تختص ببناء وتدريب الكوادر الإعلامية القادرة على قيادة الإعلام الحر والمسئول والملتزم بشرفه وقواعد المهنة .

«ب» إصدار تشريعات عادلة تضبط معادلة يتمثل شقها الأول فى ردع الخارجين والمارقين والمفسدين من ناحية، وتمنع أى مستغل لهذه التشريعات لقمع حرية الصحافة وازدهارها..

هاتان المعادلتان تستلزمان العمل على تفعيلهما لتقتصر لغة الإعلام أيًا كان توجهه السياسى على لغة الإعلام الموضوعى والمنهجى والمبنى على أصول المهنة واحترامها واحترام فكرة امة ترعى النقد البناء المرتبط، كذلك أمة تبنى الإخاء وترد كيد المعتدين.. والله ولى التوفيق.

(الكاتب-الأخبار١٦/١/٢٠٠٦)

obeikandl.com

## ٢ - إعلام أزمة الحديقة

## وإمكانية التفاقم ثانية !!

تناولنا فى المقال السابق ٢٠٠٦/١/٦ بعنوان «دروس مستفادة من إدارة أزمة الحديقة» والتى نقصد بها تلك الأزمة التى حسمت مرحلتها الأولى بإجلاء الإخوة الأشقاء اللاجئين من الحديقة المواجهة لمسجد مصطفى محمود بعد أحداث مؤسفة.. وقد أوضحنا فى ذلك المقال نفاد كل المحاولات والصبر الشديد حتى تحول المكان إلى نقطة ساخنة وبؤرة غير مناسبة صحياً وبيئياً وأخلاقياً.. مما كان سيؤدى إلى أن تتفاقم الأزمة أكثر فأكثر.. ولقد رصدنا أوجه الخلل التى يتعين علينا الاستفادة منها لمنع تكرارها، وذلك بان ننهج أساساً مبدأ استباق ومنع الازمات.. والمتابع لملف هذه الأزمة يتيقن تماماً أن لهذه الازمة توابع.. ينبغى إدارتها بحكمة وعلم وبصيرة.

أولاً : إن أكبر خلل فى إدارة هذه الأزمة قد تمثل فيما يسمى «بإعلام الأزمة».. والمعروف أن هذا المكون هو من أهم مكونات إدارة أى «أزمة»، خاصة فى عصر العولمة والفضائيات وسرعة إنتقال الأحداث والتغطيات بشكل غير مسبوق فى التاريخ يحتم الإهتمام الأفضل بكثير بهذا المكون.. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تم إدارة معظم تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠ وغيرها فى التلفاز من خلال السيطرة على الصورة المواتية من قبل مدير تلك الأزمات إلى الحد الذى شاعت معه عبارة الكاتب الإنجليزى المعروف : «وما الدنيا إلا مسرح صغير» بعد تحويرها لتكون «وما الدنيا إلا تليفزيون ١٤ بوصة».. مع الأسف كان مكون إدارة إعلام الأزمة فى «أزمة الحديقة» ضعيفاً للغاية.. لماذا؟.. لأنه لم يوضح ما هو خاف عن كل من ينتقدون الإدارة المصرية داخلياً وخارجياً الان.. وما خفى وكان من الممكن أن يؤثر ايجاباً على عملية إدارة الأزمة يتمثل فى الآتى:

١ – لم يوضح إعلام الأزمة، خاصة المرئى، كم الوساطات العديدة، خاصة السودانية منها لشخصيات لها وزنها، والتى قامت بإدانة الموقف الخاطئ للاجئين.. وكان يتم ذلك بشكل من التركيز.

٢ – لم يوضح إعلام الأزمة على مدى المدة الزمنية الطويلة التى عبرت عن الصبر فى إدارة الأزمة.

٣ – لم يوضح إعلام الأزمة الخطأ التفاوضى المركب لمفوضية اللاجئين، والذى تعرضنا له بالتحليل فى مقالنا السابق المشار إليه أعلاه.

٤ – لم يركز «إعلام الأزمة» على مستوى التدهور البيئى والصحى والأخلاقى الذى انفلت.

٥ – لم يركز «إعلام الأزمة» على أحداث انفلات الأزمة فى مرحلتها الأولى حين تم تكسير الإخوة اللاجئين للسيارات فى بداية الأزمة وتم احتواء الأمر بهدوء «غريب» دون احتساب هذا الأمر أمام الرأى العام الداخلى والعالمى والذى كان يعطى أكبر المبررات لحسم هذه الأزمة أمام أعين العالم.

٦ – تهاون «إعلام الأزمة» فى توضيح خطورة السيناريوهات التى قد تحدث إذا لم يتم حسم الأزمة.. بل على العكس كانت هناك بعض التصريحات الواثقة دائماً أكثر من اللازم «بأن الأمر عابر» ومسيرهم يزهقوا.. فإذا بالأزمة تتطور نحو «الكابوس» أمام هذا الأداء غير الموفق.

٧ – القيام المفاجئ جداً بحسم حدث فيه خسائر كبيرة، اليوم ماذا عن إدارة إعلام المراحل التالية لهذه الازمة التى ينبغى السيطرة عليها؟!.. ولمحاولة الإجابة ينبغى أولاً أن نعرف ملامح هذه المرحلة التالية وهى :

١ – وجود ١٢ منظمة حقوقية تدعو الأمم المتحدة لتقصى الحقائق حول فض اعتصام اللاجئين السودانيين بعد أن قدرت المنظمة المصرية عدد القتلى بـ ١٥٦ شخصاً من الجانبين المصرى والسودانى.

٢ – وجود أجندات واضحة ومعروفة بمحاولة استغلال أى حدث لزيادة البلبلة والتوتر والتدخل فى الشأن الداخلى للدول العربية، ولا شك أن هناك دائماً من يتربص بالعلاقات المصرية السودانية الحميمة.

إذن هناك من يحاول فى إطار هذه الأزمة واستغلال تداعياتها أن يعصف بالعلاقات المصرية السودانية وإلغاء اتفاق الحريات الأربع الذى كان ينبغى أن يكون نواة متميزة للعلاقات الأخوية.

٣ – وجود إعلام معارض متحيز للانفعال واللاعلمية، ولهذا سياق آخر..

خلاصة القول فى هذا التحليل الأولى لإدارة الأزمة ومحاولة استباق توابعها التى قد تكون الأخطر، هو فهم ما المقصود بمكون «إعلام الأزمات» وأهميته القصوى.. بالطبع إلى جانب السياسات والأفعال الحكيمة.. وبالتالى ينبغى التحرك لتفعيل «إعلام أزمة» مبتكر.. حتى ولو جاء فى هذه المرحلة المتأخرة.. ولهذا عودة أخرى.. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان..

(الكاتب–الأخبار١٣/١/٢٠٠٦)

## ٣ - دروس مستفادة من إدارة «أزمة الحديقة»!!

بعد تقديم العزاء فى ضحايا ما يمكننا تسميته «بأزمة الحديقة» والتى نعنى بها أزمة احتلال بعض اللاجئين من الإخوة السودانيين للحديقة الكبيرة المواجهة لمسجد مصطفى محمود والإقامة فيها عنوة ورفضهم الخروج منها إلى أماكن كريمة أعدتها الدولة لهم كتعبير عن عمق الروابط الحميمة بين البلدين الشقيقين - ترى أهمية استخلاص وتدارس الدروس المستفادة من عقلية إدارة هذه الأزمة، خاصة أنها من الأزمات التى وصلت إلى مرحلة تستعصى على الإدارة التفاوضية لها .. وكان لابد من إنهائها بعد أن وصلت الأمور إلى مرحلة خطيرة للغاية من التدهور البيئى والأوبئة فى المكان، ووجود أجواء من التوتر الشديد فى هذه المنطقة، ووجود حالة من الخروج الصارخ عن قوانين وتقاليد البلد.

والدروس المستفادة تتمثل فيما يلى:

١- مرة أخرى أكرر وأركز على افتقادنا إلى مفهوم استباق ومنع الأزمات Crisis Prevention And anticipation .

وأتصور أن سيناريو منع مثل هذه الأزمات واستباقها كان سهلا وميسراً.. ويتمثل هذا السيناريو فى السؤال التالى : هل يمكن لأي إنسان فى وجود قوة للأمن للحفاظ على قواعد المرور وسلوكيات الطريق بشكل دورى وحاسم كما كنا نرى «العسكرى أبو صفارة» فى الأفلام «الأبيض والأسود القديمة» حيث كان لهذا العسكرى هيبته الكبيرة - هل كان يمكن لقليل من الأفراد أن يجلسوا فى حديقة لوقت أطول من اللازم، ناهيك عن أن يبتوا ليلة بعد ليلة ويتكاثر عددهم؟.. ما الذى حدث؟ أود أن ألفت الانتباه هنا إلى أن استباق هذه الأزمة ومعها كان ممكنا بكل سهولة فى بدايتها وليس بعد وضع اليد المتعسف الذى رأيناه من اللاجئين، والمشكلة تكمن فى أن مثل هذه الأزمة ممكن أن تتكرر مع الأسف.. فلابد أن تعود لدوريات المرور وجودها الأكثر كثافة والأكثر صرامة.. الخلاصة هنا أن حل «الاستباق» والمنع سهل وميسر .. وخطورة الأمر أن نترك الأزمات لكى تحدث وتتفاقم، وبالتالى تبقى مخاطر الإدارة وغموضها.

٢- فى أزمة الحديقة المشار إليها لابد من العدل فى الأحكام، فكما ذكرت جانباً من التقصير يخصنا، فإن مفوضية الأمم المتحدة قد لعبت دوراً سيئا للغاية فى تفاقم هذه الأزمة على عدة أصعدة، ومن أهمها : إطالة أمد الأزمة ومسك الحبل من المنتصف وتجاهل أو عدم معرفة أمر حيوى للغاية يتمثل فى أن مطلب اللاجئين غير قانونى.. فبعد اتفاق ماشاكوس والتوقيع عليه، تم إلغاء بند السماح بالهجرة لدول

الاتحاد الأوربى والولايات المتحدة وكندا.. من هنا فإن مقولة اللاجئين أو المفوضية بأنه مسموح لهم الإقامة فى بلد مجاور لحين الحصول على الهجرة إلى تلك الدول هو أمر غير صحيح، وعدم معرفة أو تجاهل هذا البعد قد أطال من أمد الأزمة وأفهم اللاجئين عكس ما كان ينبغى لهم أن يعرفوه ويفهموه ويعوه.

٣- الدرس الأخير المستفادة من هذه الأزمة أنها أزمة بين طرفين، أصر فيه طرف اللاجئين على إحراق كل فرص التسوية الأخوية، حيث ضربت بعرض الحائط كل المقترحات الأخوية والصادقة فى استقبال الأخوة من السودان الشقيق ليقيموا فى الأماكن المخصصة لذلك ولينضموا إلى أكبر جالية عربية سودانية، حيث تقدر الجالية السودانية فى مصر بعدد من ثلاثة إلى خمسة ملايين أخ سودانى.. وليس لدىّ إحصائية دقيقة.. ولكن العلاقة الحميمة بين أبناء وادى النيل معروفة وعميقة، ومن هنا كان خروج الإخوة اللاجئين عن الأعراف والتقليد وخرق كل القوانين المعمول بها يحتم بعد وقت طويل من التفاوض والصبر الطويل أن يتم التعامل مع الأزمة بإنهائها وحسمها، فلو كان من احتل الحديقة من المصريين لسبب أو لآخر.. لتم التعامل معهم بنفس الأسلوب الذى يؤكد على احترام القانون.

أما فيما يتعلق بإعلام الأزمة،وهل قام الإعلام المصرى بتغطية متواصلة وإيجابية لتشرح للعالم داخليا وخارجيا أهمية حسم هذه الأزمة فى النهاية، وأن الطرف المناشد بالالتزام بالقانون وبمنع أضرار بالغة بالبيئة قد استنفد كل طرق عدم حسم الأزمة بوليسياً .. فهذا الأمر بحاجة إلى التأمل والتساؤل، وربما الأسف.

والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار٦/١/٢٠٠٦)

## ٤ - أسئلة الصمت والإنصات في المشهد الانتخابى

يحتاج ملف «المشهد الانتخابى الرئاسى» إلى المزيد من التأمل والدراسة، حتى بعد انتهاء الانتخابات الرئاسية التى أوجدت مناخاً من حرية التعبير والرأى غير مسبوق فى التاريخ السياسى الحديث لمصر... وفى هذا المقال أريد أن أركز على ما نسميه فى علم التفاوض «آليات الصمت والإنصات» وهو موضوع مركب، ويختلف الأمر فيه من ثقافة إلى أخرى... فعلى سبيل التوضيح، أراد أحد الطيارين المصريين منذ سنوات أن يهبط اضطرارياً بطائرة مدنية بسبب وجود بعض المشاكل الفنية بالطائرة، وكان بالقرب من قاعدة جوية عسكرية قبرصية، فطلب من برج المراقبة القبرصى الهبوط الاضطرارى، وساد الصمت فى هذا الحوار، وتصور الطيار المصرى أن هذا الصمت يعنى الموافقة فبدأ فى الاقتراب من القاعدة الجوية، وهنا تصدت له طائرات قبرصية وأطلقت النيران التحذيرية.. وعندما تم استجواب الطيار فيما بعد، تيقن أن «الصمت القبرصى» مختلف، فلم يكن «السكوت علامة الرضا» فى قبرص.

إن المثال السابق يوضح أهمية فهم آليات ومعانى «الصمت» فى الحوار.. والذى أثبتت الدراسات أنه قد يعنى أفعال قول عديدة. فقد يكون «الصمت» بمعنى الرضا والموافقة أساساً فى ثقافة، ويكن بمعنى «الرفض» أساسا فى ثقافة أخرى، كما أن للصمت داخل نفس الثقافة معانى أخرى يحددها سياق الحوار... فالصمت قد يعنى السيطرة على تفاعلات غير منضبطة، وقد يكون للصمت فى سياق آخر معنى «التجاهل» أو «الاعتراض» أو «الإحجام» أو «التسلط والعناد» عندما لا تتم استجابة محاور لآخر، وهو أمر بحاجة لمزيد من التفاصيل فى سياق أمثلة أخرى لا يتسع لها المجال هنا.

كذلك فإن هناك مستوى آخر لدراسة آليات الصمت والإنصات، وهو ما نسميه فى لغويات التفاوض.. بضبط معادلة «الإيقاع» و«التوقف» و«إعطاء فرصة الكلام» أثناء الحوار .. فالإيقاع (PACE) للمتحدث مثلاً، قد يعني الحماس فى الكلام وقد يعنى السيطرة على ساحة الحوار عندما يكون سريعاً ومتلاحقاً ولا يترك «وقفات ولو قصيرة (PAUSE) أثناء الكلام أو وقفات أطول لإعطاء فرصة للأخرين للتدخل والمشاركة فى الحوار (Turn Taking). ودراسة إيقاع المتحدث مهمة جداً لأن ضبط الإيقاع من ناحية البطء أو السرعة.. يكشف الكثير عن شخصية المتحدث، خاصة فيما يتعلق بإيقاع الخطب السياسية والحوار السياسى وتدفق الحديث فى اتجاه دون آخر.. ومن أطرف الأمثلة ما ذكره موضع كلام محذوف الوزراء الإسرائيلية المعروفة، حينما كان يعترض على بعض مطالبها.. فتفتح حوارا عالى الإيقاع فى اتجاه

قصص الكوارث والمآسى التى عاشها اليهود... فكان يقول لمساعديه «لتهدئة ذلك الإيقاع»... لما تيجى «العمة جولدا» أعطوها ما تريد.. «ثم خليها تقابلنى بعد ذلك».

كذلك فإن أمر الإيقاع معهم مهم فى الخطب الدينية، فأنت تدخل لتستمع لخطيب من الخطباء، فتجد لديه إيقاعاً هادئاً متوازناً يعطيك الشعور بالاطمئنان والطمأنينة والأمن وقدسية المكان، وهناك خطيب - أو خطباء فى الواقع - ممن يحتاجون إلى تدريب وتدرب... فتجد أحياناً إيقاعاً لاهثاً وزعيقاً يصاحب توبيخ هذا أو ذاك وتشعر أن ذلك الخطيب غاضب بسبب أو من غير سبب، هذا إيقاع غير متوازن يفقد الخطبة أهم أركانها.. وكم مر على العالم العربى خطباء فى مجال السياسة أو الوعظ ممن يطلق عليهم «الخطباء الغاضبون على طول الخط».. فكانت خطبهم السياسية توبيخا لهذا وذاك.. وارتفاعا مستمرا فى نغمة العداء والكراهية .. وكان أحدهم من خطباء السياسة لا ينهى خطابا إلا ويقول فيه «فليخسأ الخاسئون».. تلك العبارة التى كانت تتوافق مع خطاب هائج الإيقاع من أوله إلى آخره .. فجلب هذا الخطاب «أم الكوارث» التى نعانى منها إلى اليوم.

***

تحتاج خطب وتفاعلات المرشحين للرئاسة دراسة تفصيلية كاملة، ونلقى بالضوء هنا على أسئلة ما نسميه بأسئلة الصمت والإنصات فى المشهد الانتخابى، ومنها ما يلى: «١» لماذا التقطنا وفى أكثر من خطاب لأكثر من مرشح طلب هذا المرشح من جمهور الحاضرين بأن يمنحوه فرصة التحدث فى هدوء، بل لقد استمعت إلى ما يشبه المناشدة من أكثر من مرشح للجمهور.. - أى جمهوره - بأن يسمحوا له باستكمال ما يريد أن يقوله.. لقد كان من أطرف تلك التفاعلات ما أوردته جريدة الحياة اللندنية فى خبر فى صفحتها الأولى بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢٥ .. فلقد طلب أحد المرشحين مراراً وتكراراً من أحد «الهتّيفة» أن يسكت ليتمكن من إكمال ما يريده.. ولكن هذا الرجل لم يتوقف، فقال - ولم يدرك أن الميكروفونات والفضائيات تسجل على الهواء - «هو الواد ابن ... محدش عارف يسكته!».. خارجاً فى ذلك عن شعوره. ويعلق الإعلامى المعروف عمرو أديب فى برنامج القاهرة اليوم : «إنه لأول مرة يحدث اجتماع فى جريدة الحياة ليسمح بنشر الكلمة الخارجة التى قيلت ووجدوا أن هذا وارد، ونشروا التعبير الخارج» السؤال هنا يتعلق بآليات الإنصات والاستماع فى هذا السياق وفى سياقات أخرى مماثلة لنسأل عن موقع هذه الآليات فى تفاعلاتنا الثقافية. ولعلى أتذكر هنا خطاباً مهماً للرئيس الراحل جمال عبد الناصر - رحمه الله - حينما قال فى خطاب له لما كان يسمى «بالمؤتمر القومى»

أثناء فترة احتلال إسرائيل لسيناء الغالية : «أنا لو عايز أسترد سيناء أستردها بكرة..» فهتف الهتيفة وصفقوا وانتابتهم حالة وطنية خالية من الإنصات المطلوب.. وهنا قاطع جمال عبد الناصر هتاف الهتّيفة.. معترضاً عليهم قائلاً: «أنا باقول أنتم المثقفون.. اللى تستنوا لما تسمعوا الكلام كله..» وأكمل قائلاً : «إذا أردت إستعادة سيناء بكرة.. ممكن أكلم جولدا مائير وأقول لها هاتى سيناء وأنا خلاص مليش دعوة بقضية فلسطين أو بالدول العربية.. إلى آخره .. إنما جمال عبد الناصر يرفض ذلك» وهنا عادت الهتيفة وصفق المصفقون.. ولكن كان التصفيق فى موضعه هذ المرة.

إن المشهد الانتخابى بحاجة إلى دراسة متكاملة، ومن بينها فهم آليات وأسئلة الصمت والإنصات المتعددة، والتى لا تزال بحاجة إلى أن ندخلها فى عمليات التعليم الأساسى.. وتظل الأسئلة المتعلقة بها – سواء فى حالات سوء الفهم أو فى حالة إيقاع الخطاب السياسى والدينى – بحاجة إلى دراسة تفصيلية .. ويبقى آخر تساؤل فى سياق المشهد الانتخابى، وهو هل تتحرك الأغلبية الصامتة لكى تقدم على المشاركة الأكثر فاعلية فى تفاعلات الوطن السياسية والتنموية؟! وهل نحتاج إلى أن نزيل من أمام هذه الأغلبية الصامتة المزيد من العوائق الهيكلية لتبديد صمتها وتحويله إلى طاقة إيجابية؟ فنحن لا نزال فى إطار شبه ثنائية بين فريق صاخب ومحتقن وإيقاعه غاضب على طول الخط، وأغلبية صامته سلبية، والأمر يتطلب تحقيق التوازن والخروج إلى تفاعلات أخرى أكثر إيجابية وفاعلية لصالح أجندة هذا الوطن الغالى ورفعته وتقدمه، والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار٨/٩/٢٠٠٥)

## ٥ - فى الكشف عن اعلام الحملات : حالة التعامل مع الأزهر ولماذا سميت مصر بلد الأزهر ؟

هناك عدة أوصاف استعارية وصفت بها مصرنا الحبيبة وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الماضى والحاضر والمستقبل، ومنها : مصر «أرض الكنانة»، و«المحروسة» – دائما بإذن الله – ومنها كذلك «مصر بلد الأزهر».. وهذه الصفة لم تكن من صنع المصريين فى الأساس، بل من صنع الملايين فى مشارق الأرض ومغاربها الذين عرفوا مكانة الأزهر الشريف كجامع وجامعة معا فى أنحاء العالم المختلفة قبل أن يأتى إلى الوجود الإعلامى المتستر وراء مصطلح «الحرب ضد الإرهاب»، واليوم تحاط هذه الجامعة بحملات إعلامية عاتية، وهذه الحملات جزء من الحملات التى تتعرض لها مصر منذ عدة سنوات وتستهدف .. وهذا الكلام، بالطبع لا يعنى بأى حال أن الأمور على أحسن ما تكون .. لا .. الجامعة الأزهرية وبكل تأكيد مثلها مثل جميع جامعاتنا المصرية العريقة تحتاج إلى إصلاحات إدارية جذرية وعلمية كبيرة جداً، ولقد أوضحت ذلك فى بحث تفصيلى لى بعنوان «إدارة الأزمة الممتدة للجامعات المصرية: منظومة ثقافة الامتحانات كعائق لتفعيل منظومة البحث العلمى» وهو بحث تم تقديمه فى فاعليات مؤتمر التعليم العالى فى مصر: خريطة الواقع واستشراق المستقبل، والذى عقد فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة مؤخراً.

وسوف أتعرض لهذه الأزمة الممتدة فى مقال آخر – بإذن الله – ولكن ما أريد أن أؤكد عليه هنا وبشكل أولى، يتمثل فى عدة منظمات لابد أن تكون حاضرة أمامنا ونحن نناقش ملف الجامعة الأزهرية الذى أصبح مفتوحاً فى وسائل إعلامنا بالإضافة إلى وسائل الإعلام الأجنبية، وعلينا فهم أنماط التفاعل هنا وهناك ونحن ندير هذا الملف الحساس.. وهذه المنظمات تتمثل فى الآتى:

١ – لابد من الحديث الحر وتوجيه النقد البناء، ولكن مع إنزال الأزهر الشريف مكانته الغالية.. فهو الجامعة التى لا تزال تسمى «بأكسفورد الشرق الأوسط» لدى العارفين بهذه المكانة من الأجانب Oxford of the M.E. ولقد وردت هذه التسمية فى سياقات عديدة، ومنها : فى فيلم وثائقى قدمته الـ BBC، فليس من منطق الحوار البناء الإمساك بمعاول الهدم والحديث عن «الأزهر بين الإلغاء والإبقاء» أو إلغاء الكليات العملية وإبقاء الدينية، إلى ما ذلك من أطروحات قد ترتبط فى عمق بنيتها مع أطروحات هذا النفر المنادى بإلغاء الشريعة الإسلامية من الدستور المصرى... ومثل هذه الدعوى كلها إقحام ما لا ينبغى اقحامه وربطه بموضوعات مثل «حقوق

الاقباط» تارة وأحياناً يتم ربطه بإدعاء فاسد بأن الجامعة الأزهرية تعد مصدراً من مصادر «العنف والتطرف».. وكل هذه الإدعاءات المجحفة والمختلفة إذا كانت موضع مطالب بالداخل من قبل قلة فهى لا تنفصل عن منظومة مرفوضة تعد فى الخارج لنا جميعاً، وسوف أعود لهذا الموضوع الخاص بادعاءات إلغاء الشريعة الإسلامية من الدستور والتى تنم عن عدم معرفة عميقة بالثقافة السياسية الدينية لبلد ما – وهو هنا مصر – وطبيعة التشريع المصرى فى هذا الصدد.

٢– فيما يتعلق بمفهوم «دافعى الضرائب» وحق الإخوة الأقباط للدراسة بالأزهر – أو بكلياته العلمية – أحيل القارئ الكريم المهتم إلى ما ورد فى عمود للكاتب الكبير إبراهيم سعده بتاريخ ٢٠٠٦/١/٢٤ ، وأضيف إلى ما ورد .. أن للأزهر أوقافه وممتلكاته التى أصبحت تحت يد الحكومة منذ فترة طويلة.. ولا عجب فى كل حال أن تكون هناك جامعة إسلامية.. فما المانع فى وجود جامعة كاثوليكية فى دولة أغلبها من الكاثوليك مثلاً وما يتعلق بهم من فلسفات، وهناك كلية للاهوت فى مصر.. وهذا أمر طبيعى لدراسة الدين المسيحى، كذلك فإن طلاب المعاهد الأزهرية لا يسمح لهم بالدراسة فى الجامعات المصرية الأخرى.. من هنا فإن الجامعة ملتزمة بإعطاء كل الأولوية لهم.. أما فى مسألة التركيز على الشئون الدينية فقط وإلغاء الكليات العملية فهذا خطأ كبير؛ لأن بعث دور الحضارة الإسلامية الإيجابى للعالم أجمع يتطلب أن يكون الفقيه فى الدين من ذوى التخصصات العلمية الأخرى، فكل علماء الحضارة الإسلامية الذين انتشلوا أوربا من العصور المظلمة وساهموا فى تأسيس النهضة الأوربية حقاً – وكما ورد فى محاضرة الأمير تشارلز الشهيرة فى جامعة أكسفورد عام ١٩٩٣ ، وهى على الإنترنت – كانوا من العلماء الفقهاء.. يقول الأمير تشارلز إن ما لا يعيه الغربيون – وأضيف (والبعض) فى واقعنا – أن العلم والإسلام وجهان لعملة واحدة.. وهذه التركيبة هى التى جعلت المسلمين يسهمون فى استنهاض عصر التنوير الأوربى بإنجازاتهم العلمية المعروفة حينذاك، وعلماء المسلمون هم الذين عرّفوا أوربا بتراث أرسطو الذى كان مجهولاً للأوربيين.

والحديث فى هذا السياق يحتاج إلى تفاصيل وسياق آخر.

٣– إن تاريخ الأزهر الطويل يجعله الملاذ فى المحن، فهو المكان الذى اعتلى منبره فى سماحة وطنية رجال الدين الأقباط أثناء ثورة ١٩١٩ ، وهو المكان الذى خطب منه عبد الناصر ليرد على إنذار الإستسلام الموجه لمصر من قوى الطغيان والعدوان فى عام ١٩٥٦ ، وهو المكان الذى تخرج منه عشرات من رؤساء الدول، والملايين من الشخصيات فى دول العالم المختلفة، وهو وسيظل المنبر لمواجهة كل الغزوات الموجة لهذه الأمة.. وهذا أيضاً لا يمنع من النظر إلى كل ما قد يؤدى إلى

تجنب أى سلبيات فى هذا الدور وتفعيل كل ما يؤدى إلى تعميق رسالته، والتى هى رسالة الإسلام والتى جاء بها الرسول محمد ﷺ ليكون «رحمة للعالمين»، أى لكل البشر. فهذه الرسالة هى رسالة سامية وهدفها الإسهام الحضارى والتفاعل الإيجابى بين الجميع فى هذا العالم .

٤- إن ما يتردد - إجحافاً - عن أن الجامعة الأزهرية تعتبر مصدراً لتفريخ الإرهاب والتطرف، ما هو إلا محض افتراء وأكاذيب وتلفيق. يقول د. الفقى فى مقال سابق له عن الأزهر والسياسة «الأهرام ٢٠٠٣/١٠/٧» إن الأزهر الذى فى أنحاء العالم عنى بابتعاث النابهين من رواده لكى يكونوا رموزا لصحيح الإسلام فى أنحاء العالم، هو الأزهر الذى لم يقع فريسة موجات التطرف الدينى فى العقود الأخيرة إذ أن كل المؤسسات تؤكد أن غالبية من سقطوا فى براثن المرض اللعين كانوا فى معظمهم من خريجى الجامعات الأخرى، وكان أقل القليل فقط ممن ينتسبون إلى الأزهر الشريف؛ لأن كل من يدرس الفقه والشريعة ويقوم على الدعوة يصبح معافى من نزعة التشدد ويبرأ من مرض التطرف ويدرك سماحة الإسلام ورحابة نظرته تجاه الديانات الأخرى.. يذكر د. الفقى فى نفس ذلك المقال أن طلبت السلطات النمساوية حينما كان سفيراً فى فيينا أن يشرف الأزهر الشريف على تعليم من يقومون بتدريس الديانة الإسلامية لأكثر من ثلاثمائة ألف مسلم نمساوى على نفقة دولتهم إعترافاً بقيم الأزهر وابتعاد هذه القيم عن الغلو والشطط. إن من يدرك الدور الحقيقى للأزهر لصالح مصر كلها، خاصة فى إطار ما نشهده من أزمات ممتدة داخليا ودولياً، يدرك كيف يمكن لنا دعم هذا الدور وتطويره لصالح مصر كلها، وهذا لا يكون بالمعلومات الخاطئة أو بالإلغاء والإقصاء أو بالضغوط السلبية. والتفاصيل عديدة فى إطار هذه النقطة، ولقد تناولتها فى دراسة تفصيلية نشر جزء كبير منها فى مجلة «سطور» بعنوان فى إدارة أزمات «التنوير» و«التكفير» لخوفك الاشتباكات الخاطئة فى واقعنا الثقافى «مجلة سطور العدد ٤٥ أغسطس ٢٠٠٠» .

إن النقاش الحر والموضوعى بخصوص أى ملف فى واقعنا الثقافى يعد أمراً حيوياً ومطلوباً وضرورياً.. وملف الأزهر وتطويره، خاصة فيما يتعلق بتطوير الجامعة الأزهرية أصبح مفتوحاً.. ولكن على أن يتم ذلك بفهم واع لمكانة الأزهر العريقة ودوره العريق لصالح مصر.. فمصر بلد الأزهر.. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار٢/٢/٢٠٠٦)

## ٦ - فى إدارة أزمات «التنوير»، و«التكفير»:

## فك الاشتباكات الخاطئة ..

**الهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو محاولة الإسهام العلمى لاستخلاص دروس من أزمات ممتدة فى واقعنا الثقافى، ينبغى معالجتها الآن من جذورها وفك الاشتباكات الخاطئة بخصوصها، وهى تتعلق فى سياقنا هذا بملفات «التنوير» و«التكفير» التى نفتحها من وقت إلى آخر، وتشهد التفاعلات بخصوصها ما يسمى فى علم إدارة الأزمات «بانزلاق الأزمة» (Crisis Slide)، حيث نشهد أنماطاً للبرهنة تسعى إلى استهداف الآخر واقصائه، وتستحضر معها كل متطلبات وأجواء المباريات الصفرية التناحرية. كما نرى فى خضمّها تطوراً للأزمة مع سعى أطرافها للزج بأطراف أخرى أو تدخُّل هذه الأطراف بكامل إرادتها إلى ساحة التفاعل، وتتفاقم الأمور إلى الحد الذى يتم معه حسم أزمة أخرى – عادة – غير الأزمة الحقيقية وأسبابها الفعلية لحين إشعار آخر وتكرار لاحق للأزمات .. وهكذا..**

وتأتي هذه الدراسة كامتداد لدراسة أخرى للكاتب بعنوان «مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى» (الكتاب ١٩٠ لعام ١٩٩٤ سلسلة عالم المعرفة – الكويت).

وإذا كانت تلك الدراسة السابقة قد تناولت – ضمن ما تناولته منذ ست سنوات – ملفات «الاختلاف حول التنوير» فى واقع التفاعلات الثقافية وأسئلتها، إلا أن تناول هذه الأنماط بالتحليل فى إطار «أزمة الوليمة» الأخيرة وما استجد فى إطارها لمن المتطلبات الضرورية من أجل الوصول إلى مرحلة نستبق فيها مثل هذه الأزمات ونحتويها، سعياً إلى الانطلاق إلى الأمام لمعالجة قضايا أكثر أهمية وصراعات أكثر خطورة تنتظرنا فى ساحات عديدة. فى هذا الإطار العلمى الأشمل نقدم تحليلاً نوعيا لأهم ما ورد فى ملف «الوليمة»، وهنا نتعرض لمقال له دلالته الخاصة من حيث كونه عينة ممثلة توضح كيف تتطور الأمور إلى حالة من الاشتباكات الخاطئة، وهذا المقال كتبه أ.د. جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فى مصر بجريدة الحياة بعنوان «طلاب الجامعة الأزهرية» فى ٢٠٠٠/٥/٢٤ .

وهنا نقول ومع الاحترام لشخصه الكريم إن مقاله ليمثل تجسيداً حياً لظواهر تفاعلية لا تخدم إلا تفاقم الأزمات، فإذا كان ما أخذ على أسلوب حزب العمل فى «أزمة الوليمة» كونه أسلوباً تحريضياً ومتسرعاً فى توجيه تهمة الإلحاد والكفر لأطراف بعينها دون دليل دامغ وتبين للأمور، فإن أسلوب اتهام «الآخر»، وهو هنا «طلاب

الجامعة الأزهرية وأساتذتها» «بالجهل» و«التطرف» و«الظلامية» و«معاداة العقل» و«التعصب» ودون دليل دامغ، لهو أيضاً نوع من أنواع الظلم البين كذلك، وهذا مع الأسف ما جسده مقال الدكتور عصفور فى حق طلاب الجامعة الأزهرية وأساتذتها وهو ما يستوجب الرد والتفنيد للكشف عن آليات خطاب تفاقم الأزمات واستخلاص الدروس المستفادة.

ولعلى أتناول هنا بداية الأسئلة التالية:

هل ما ذكره الدكتور عصفور عن طلاب الأزهر وأساتذته صحيح؟ وهل كان عنده الدليل لما ذهب إليه من إساءات بالغة، أم أن القضية والحقائق مختلفة تماماً عما ذكره؟ وهل يهدف خطاب الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة استنهاض خطاب ثقافى من شأنه تجنب حالة التناحر والتعسكر الراهن، أم أنه من شأنه إحداث انقسام خطير وإهدار للرصيد الثقافى لمصر فى نهاية المطاف؟

وبدايةً لابد من ذكر أهم ما ورد فى مقال الدكتور **عصفور**، حيث قال نصا: «**طلاب الجامعة الأزهرية الذين أحالهم نظام تعليم متخلف إلى قنابل موقوتة من العنف الجاهل أو جهل العنف بلا فارق كبير. ولا مفر من تأكيد الجهل فى هذا المقام، فالتعليم الأزهرى لا يزال يكتفى بأدنى الدرجات فى التعليم العام والجامعى على السواء، ولا يجد الطلاب الذين ينتسبون إلى هذا التعليم نسقا عقلانيا مفتوحا، يصل بينهم وبين التراث العقلانى العظيم لحضاراتهم الإسلامية، فيظل أغلب هؤلاء الطلاب أسيرى ثقافة نقل وتقليد تعادى العقل، ولا تشجع على الاجتهاد أو الاختلاف، والنتيجة هى شيوع الجهل الذى يتكاتف كما تتكاتف الظلمة، والتعصب الذى ينمو أسرع من ورد النيل القاتل، والاندفاع إلى العنف الذى ينتظر إشارة، فكل شىء ممكن فى غياب الوعى وغلبة الجهل**» ثم استشهد سيادته «بأبلغ دليل» لما ذهب إليه. فيروى قصة أخبره بها الأستاذ **عزت القمحاوى** عن حديث مع ثلاثة من طلاب المظاهرات «تخلفوا قليلاً عن زملائهم لسبب لا يليق ذكره فى هذا المقام» وتبين من خلاله أنهم لم يقرءوا الرواية، وأنهم خرجوا للمظاهرة بناء على مقال كتبه الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، ويضيف الدكتور جابر قائلا: «**وما يعنينى فى الحكاية كلها هو دلالتها التى تتصل بما أريد تأكيده من تحول هؤلاء الطلاب المساكين الأبرياء إلى أوعية يصب فيها أساتذة التطرف ما يريدون، وإلى أبواق تنقل ما يقال لها بأصوات أعلى، وإلى ضحية نظام تعليمى يصوغ عقولهم على شاكلته، فيغدو هؤلاء الطلاب كيانا مستعدا لقبول أفكار التكفير بلا طلب للدليل أو البينة**».

وانتهى كلام الدكتور عصفور مشكوراً بالترحم على علماء الأزهر المستنيرين أمثال محمد عبده، ومصطفى عبد الرازق، وغيرهم!.

وبداية أقول إن الأزهر وغيره من مؤسسات الدولة ليس فوق أى نقد بناء وملتزم من أجل إصلاح الشأن العام، ولكننى اندهشت حقاً، بل وأسفت على هذا الأسلوب الاختزالى والتعميمى الذى يسىء فى المقام الأول لأبسط القواعد العلمية فى البرهنة وإقامة الدليل قبل أن يسىء للأزهر وأساتذة وعلمائه.. **فمن أين أعطى الدكتور عصفور لنفسه الحق فى وصم ما يزيد على مائة وتسعين ألف طالب وطالبة من طلاب الأزهر الشريف – منهم ما لا يقل عن العشرين ألفا من الطلاب الذين يأتون من أنحاء العالم من ذوى الخلفيات الثقافية واللغوية المتعددة؟! من أين له أن يصمهم بالجهل و«معادة العقل» و«التعصب» و«التطرف» هم وأساتذتهم بهذا الاختزال المؤسف؟!..** لقد كان دليل الأستاذ الدكتور – «وعلى حد وصفه أبلغ دليل» – مستمداً من مثال نقل عن طرف آخر، والحوار عابر فى الشارع مع ثلاثة طلاب تخلفوا عن المظاهرة «لأسباب لا يليق ذكرها» على حد تعبيره؟! إن مثل هذا الدليل لا يستند إلى عناصر التأهيل العلمية، ويعتمد على ما نسميه فى مفاهيم الحجج بالتدليل «بيانات تدعيم فاسدة» (Degenerate Data) ، لو كان للدكتور عصفور أن ينتقد حالة عابرة من حالات التفاعل التى صاحبت تلك الأزمة من خلال مثال الشارع الذى ساقه لجاز الأمر، ولكن أن ينطلق الأمين العام للثقافة من خلال هذا المثال ليدلل على «غلبة الجهل» و«العنف» و«التطرف» وكل أنواع «الظلمات» التى ذكرها ؛ ليصم من خلاله طلاب الأزهر وأساتذته و«نظام التعليم المتخلف فى الأزهر»! فهذا نوع من التبسيط المخل.

لقد كان كاتب هذه السطور طالبا فى هذه الجامعة العريقة وأتشرف بأننى عضو من أعضاء هيئة التدريس بها، وهذا يعنى أننى تفاعلت مع الآلاف من طلابها طالبا وأستاذاً، وأقول بكل الموضوعية، إنه وإن كانت هناك سلبيات فى نظام التعليم الأزهرى، وهى سلبيات معروفة تشترك فيها كافة جامعات الوطن العربى والعالم الإسلامى بنسبة أو بأخرى، أما طلاب الأزهر فأنا أشهد وشهادتى أمام الله، وبعد أن درست للآلاف منهم ووضعتهم موضع المقارنة مع آلاف غيرهم قمت بالتدريس لهم فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة وفى جامعتى جورجتاون وتكساس وعدد من جامعات مصر والوطن العربى الأخرى التى درست بها إلى يومنا هذا، وأقول على هذا الأساس إنهم طلاب لم أر منهم سوى الأدب والالتزام والرغبة فى العلم والتحصيل والعقلانية المبنية على قيم الدين الإسلامى الحنيف، ومنهم أمثلة التميز المشرف وأثبتت وجودها فى الجامعة وخارجها – وكلما أعطيتهم أعطوك – وليست هذه شهادتى فقط وإنما

هى مضمون شهادات عدد كبير من الأساتذة الضيوف الأجانب الذين يأتون من مختلف دول العالم إلى أزهر مصر الشريف ويتفاعلون مع طلابه وأساتذته، ومنهم من قام بالتدريس بصفة منتظمة فى أقسام كلية اللغات والترجمة طبقاً لبرامج تبادل الأساتذة، ولعل آخر مثل هذه الشهادات المشرفة التى تنصف طلاب الأزهر والذين أساء لهم جميعاً الأمين العام للثقافة، ما جاء من خلال ما ذكرته الكاتبة الفلسطينية المقدسية **سهاد حسينى قليبو**، والذى ورد فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٠/٥/٢٥ تحت عنوان «الأزهر .. القدس» حيث قالت:

**«إن من يلتقى بشباب الأزهر يعرف أن القدس عائدة لا محالة.. إن هذا الشباب يمتلئ إيماناً بالحق والعدالة.. إن شباب الأزهر جعلنى أحس بالأمان.. جعلنى أحس أن القدس مازالت قضية جميع الأجيال» إلى آخر ما فعلته الكاتبة عن تفاعلات الملتقى الذى شاركت فيه مؤخراً بكلية اللغات بجامعة الأزهر».**

... إن طلاب الأزهر – سواء أزهر اليوم أو أزهر محمد عبده – بالرغم من المشاكل الكبيرة والعقبات العديدة والمعروفة التى تهدد كل واقعنا العربى؛ يمثلون جزءاً كبيراً من ضمير هذه الأمة الحى والمعبر عن التمسك بالقيم النبيلة لهذه الأمة، وبالرغم من أننا لا نقر، بل ونُدين أسلوب التظاهر وكل ما قد يؤدى إلى العنف بأشكاله المختلفة، إلا أنه أسلوب سلمى موجود فى كل مكان فى العالم، وهو من تراث المجتمع المدنى وحقوق الإنسان عندما تختقن قنوات الحوار الإيجابى ويشعر الناس بدرجة غير محتملة من فرض الرأى والقيم عليهم، خاصة إذا كان الرأى هزيلا والقيم دخيلة ولا يمكن قبولها. وإذا كان هناك من تفسير حقيقى لمظاهرات الأزهر غير ما ورد من تلفيق للأحداث، وتداعيات وتفاصيل أدت إلى عنف بين الشرطة والطلاب وليس لنا أن نخوض فيها هنا، إلا أن هذه المظاهرات لم تكن نتيجة «للجهل والظلماء»، والسذاجة الفكرية لطلاب الأزهر، كما ذهب إلى ذلك الدكتور **عصفور**، وهى أيضا لم تكن لمجرد بيان وُزِّع على الطلاب – كما استرسل سيادته فى تحليل مضمونه الركيك – ولم يكن بيان الدكتور **أحمد عمر هاشم** فى لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب هو المفجر للمظاهرات كما أفاد المقال. فالبيان جاء بعد اندلاع المظاهرات فى محاولة لتهدئة الطلاب، بل والشارع المصرى كله الذى كان ينتظر الحكمة من الكبار ونزع الفتيل بالاعتراف بالتجاوزات التى حدثت من كافة أطراف التفاعل وعدم تحدى المشاعر **والتخبط** فى إدارة الموقف.

هناك جيلا جديداً فى الأزهر الشريف يقدِّر بمئات الأساتذة الذين حصلوا على أعلى الشهادات والخبرات الدولية من أرقى جامعات العالم وفى أحدث فروع العلم المختلفة بكليات الجامعة من طب، ولغويات، وهندسة، وآداب، وعلوم، وزراعة،

واجتماع، وعلم نفس، وعادوا بعد ابتعاثهم للخارج من قبل الأزهر الشريف والدولة المصرية لينشروا فى هدوء دون صخب ما تعلموه من أحدث العلوم، وما اكتسبوه من أرقى الخبرات العلمية وخبرات الاحتكاك بالثقافات الأخرى فى هذا العالم، وذلك فى إطار من تكامل العلم والدين، وفى إطار المقاصد الجليلة للشريعة الإسلامية فى النماء والعمران والتعايش الإيجابى مع الآخرين.

إننى أقترح على الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة اقتراحاً أراه جديراً بالاعتبار، وهو أن يقوم المجلس الأعلى للثقافة فى مصر بحصر هذه الكفاءات فى جامعة الأزهر (فقط).

وهى كفاءات ولاشك أنها ستساعد وزارة الثقافة فى النهوض بالواقع الثقافى فى مصر، وستملأ فراغا كبيرا جدا موجودا على الساحة وأتمنى أن يحظى هذا الاقتراح بالاهتمام لأنه سيكون فى صالح الجميع وفى صالح وزارة الثقافة على وجه الخصوص، لأنه سيحقق لها ما يلى:

(أ) الإفادة العلمية: إن وزارة الثقافة تدرك حقا أن مفهوم الثقافة أشمل من أن يقتصر على بعض الأوجة التى ركزت عليها أكثر من الماضى، وإن الأزهر خاصة يعتبر جزءا لا يتجزأ من الثقافة فى مصر، بل إن ما يمثله ليشمل أساسا حيويا من أسس الثقافة العربية الإسلامية، فهو يسمى: «بأزهر مصر» ومصر تسمى «ببلد الأزهر» وإن مفهوم الإبداع يتسع لكافة المجالات العديدة التى أشرت إليها من خلال تخصصات هذه الكفاءات المتعددة، وبما يدعم كل القيم العلمية والدينية وثوابت الأمة معا..

(ب) إنهاء وضع سلبى لا يمكن أن يستمر فى مصر، ويتمثل فى مقولات مثل: «الأزهر فى مواجهة المؤسسة الثقافية أو العكس» ومجرة المفاهيم المفتعلة المماثلة، والتى تدل على حالات من الاشتبكات الخاطئة التى لا ينبغى لها أن تستمر.

(جـ) أن يتم عبور الجزر المنعزلة فى الواقع الثقافى، وتكون تلك الأزمة – مثل أى أزمة يحسن إدارة توابعها – الفرصة المواتية لدراسة ما يمكن تسميته «بأدب الأزمات».

– إن الأزمة التى خلفتها التفاعلات حول «وليمة لأعشاب البحر» لابد من دراستها ومعالجتها على مستويين: المستوى الأول، وهو دراسة التفاعلات الثقافية وأنماطها التى تساعد على الحوار واحتواء الأزمات، وكذلك تلك الأنماط التى من شأنها أن تتفاقم معها أزمتنا ولا تنتهى.

وهنا نحتاج إلى مناقشة العديد من الأسئلة المحورية بشىء من الموضوعية والهدوء

النفسى والعلمى، مثل : ماذا عن تمرير الروائى للمفاهيم التى قد تتعلق بالعقائد من خلال شخصيات العمل الأدبى؟ وماذا عن مستوى موضوعية القارئ العادى أو المتخصص عندما يتم تناول العقائد؟ وما مدى المسئولية الأدبية، بل والقانونية فى إطار التعرض للعقائد بصورة أو بأخرى فى العمل الأدبى؟ وإلى أى مدى لم تقبل بعض الدوائر العلمية المتخصصة مسألة عدم مسئولية الروائى أو الأديب عما يرد على لسان شخصياته؟ وإلى أى مدى لم يُحسم هذا الأمر أو نقيضه علمياً؟ لقد استرسل فى مثل هذه الأسئلة وفى محاولة الإجابة العلمية عنها الناقد الأستاذ Waynae Booth فى كتابه الكلاسيكى الهام بعنوان «بلاغة الفن القصصى» فى الفصل الخاص منه، والذى جاء تحت عنوان «العواطف والمعتقدات وموضوعية القارئ»، وتناول كاتب السطور مثل هذه الأسئلة من زوايا بعينها منذ أكثر من عشر سنوات فى مناقشة للأزمة التى تمخضت عن التفاعلات حول رواية «الآيات الشيطانية» وتفاعلات كاتبها سلمان رشدى فى الإعلام الغربى فى عام ١٩٨٩، وكان ذلك فى مقال بالإنجليزية لجريدة Hoya بجامعة جورجتاون فى ١٩٨٩/٢/٢٨ وأودع نسخة منه لمجلة سطور.

أما المستوى الثانى: فيتمثل فى الدراسة التحليلية من منظور إدارة الأزمات والإدارة بالأزمات للتحركات التفاعلية (Interactive Moves) على مستوى المباراة الحزبية بين الحكومة والمعارضة، فلقد تضمن «ملف الوليمة» مادة جيدة للدراسة والتأمل فى هذا الصدد. ولقد تناول الدكتور **محمد السيد سعيد** جزئية تتعلق برفض فكرة الحزب الدينى، وعن ضبط معادلات الدين والسياسة فى الحياة السياسية (الحياة ٢٠٠٠/٥/١)، ولكن لا تزال هناك طروحات وأسئلة عديدة فى هذا الصدد تستحق دراسة ومناقشات قد يكون لها سياق آخر، ولكن من الضرورى أن تدخل مثل هذه المناقشات فى الاعتبار المناظير الحديثة والخصوصية الثقافية لمناقشة موضوع الدين والسياسة فى عصر العولمة.

– لقد غاب عن المناقشات بُعد مهم، وهو وجود جيل جديد من أزمات العولمة الثقافية، حيث محاولات تفتيت المنطقة سياسياً وثقافياً واقتصادياً. ولكن السؤال المهم هنا هو هل ننتبه لهذا البعد بعيداً عن حالات التكفير والشتائم من قِبل البعض، وكذلك من ناحية أخرى بعيداً عن حالات الاستدعاء العشوائى المنفلت والذى تجسد فى تفاعلات فريق الإبداع بلا حدود؟ بحيث كان رأى الأزهر أو أى ناقد للرواية يمثل «محاصرة الثقافة» و«بداية لمصادرة الأدب العربى كله» و«منع الأفلام والموسيقى فى مرحلة تالية» ثم «الوصول إلى حالة أفغانستان فى النهاية» ومن ثم كان لابد من استدعاء كل أسلحة القتال لوقف أصحاب الرأى المعارض للرواية. وفى

هذا تجاوز كبير للأمور وخلط مجاف لحقيقة السياق المحدد للتفاعل، فهناك أعمال موجودة لم ولن يقترب منها أحد، حتى وإن كان بها بعض التجاوزات غير سب العقائد. وهناك مجالات للإبداع والمبدعين مفتوحة للغاية، ولا يمكن أو ينبغى لأحد أن يقترب منها، ثم إن حماية المجتمع من شرور الفتن من خلال دور الأزهر المحدود فى نهاية الأمر مطلوبة مع جهود المثقفين والمبدعين والتنويريين المسئولين لضبط إيقاع أخذ فى الانفلات والغلو وشيوع الرذيلة وازدراء الأديان، فهناك حالات واضحة أدانها القضاء المصرى، وأخرى يحقق فيها النائب العام المستشار ماهر عبد الواحد، كما فى حالة المدعو صلاح الدين محسن العضو باتحاد الكتاب، والذى اعترف بازدراء الأديان وبعد أن نشر أربعة مؤلفات بعنوان «مذكرات مسلم – الصعود للسماء عبعاطى – ارتعاشات تنويرية» (راجع تحقيقا جيداً عن هذا الموضوع نشرته الأهرام فى العدد ١٦٤ – ٢٠٠٠/٥/١٣) . فهذا المناخ المستجد بمجمله على مصر، سواء على مستوى «التكفيريين» أو «التنويريين» ليس ضد جوهر الدين السمح فحسب، بل ضد كيان المجتمع المدنى المتعايش فى وئام مع بعضه البعض بكل طوائفه وتياراته.

الخلاصة: إن تفسخ المجتمع وانهيار قيمه لن يكون فى صالح أحد بكل تأكيد، وفى هذا الإطار ينبغى أن ينظر الجميع للصورة بمجملها والبحث عن مخاوف كل طرف، كما نؤكد على ضرورة الوصول إلى صيغة مشتركة بين مؤسسة الثقافة والأزهر على وجه الخصوص، يتم من خلالها عبور الجزر المنعزلة والخطاب المنغلق على ذاته، والذى أدى إلى حدوث خلط غير مسبوق من قبل الأطراف المتفاعلة فى إطار هذه الأزمة، والوصول إلى صيغة مشتركة وأجندة عمل مستقبلى تتجنب أخطاء وأزمات الماضى، وأهمية منع توابع هذا الانقسام الحادث اليوم من التأثير سلباً على مستقبلية الثقافة فى مصر .. وهذا يتطلب عدة آليات للعمل المشترك يحتاج تفصيلها إلى سياق آخر..

ولعلى أنهى هذه الدراسة بجملة أزهرية تعلمناها من شيوخنا الأجلاء، عند الخوض فى أى موضوع ، خاصة إذا كان الأمر يحتمل أكثر من وجهة نظر وهى: «هذا والله أعلم، وهو وحده المستعان».

## ٧ - التصدى لجذور الفتنة وآليات استباق الأزمات

إن الاحداث المؤسفة للغاية التى شهدتها مدينة الإسكندرية مؤخرا لاينبغى أن تستدعى فقط الأسف والحزن أو مجرد الشجب وبيانات الإدانة أو التهدئة، بل ينبغى أن تستدعى لدينا اليقظة التامة والتحرك السريع الذى تتطلبه اللحظة الراهنة، والسعى فورا لتدشين آلية مجتمعية وعلمية للتصدى لكل أزمات المجتمع الملحة، وعلى رأس ذلك التصدى لتلك الأزمات التى تكون ناتجا لتفاعلات «الجهل والتطرف والبلطجة والغباء والتسيب» فهناك عدد من الأزمات التى شهدتها مساحات تفاعلاتنا لم تخل من هذه المكونات، ولكن الأخطر اليوم أن تدخل هذه المنظومة التى رأيناها فى تفاعلات رياضية وسياسية واجتماعية إلى أكثر المناطق حساسية للأمن القومى كما حدث مؤخرا فى الإسكندرية.

لقد تناولت على مدى الأسابيع السابقة موضوع «المنظور التفاوضى لتفعيل القاعدة العلمية» وإننى فى هذا المقال أقطع هذه السلسلة من المقالات التى لم أنته منها بعد حتى أصل إلى أجندة مطالبة بتفعيل القاعدة العلمية كما ينبغى أن تكون وبما يليق بمصرنا الغالية.. لأن ما نقصده «بتفعيل القاعدة العلمية» بالمستوى المطلوب، يتمثل فى أن يكون لدينا القدرة السريعة والخاطفة والمؤثرة على منع واستباق الأزمات، خاصة تلك التى تمس أمننا القومى، لأن عدم التفعيل الواجب للقاعدة العلمية المرتبطة بصناعة القرارات وتفعيلها على المستويات السياسية والمجتمعية، يؤدى إلى هيمنة سيناريو مستمر وخائب يتجسد فى الوصول دائماً إلى مرحلة إدارة الأزمات وهذا المصطلح أعتبره من المصطلحات الشائعة «المتخلفة» فى سياقات بعينها؛ لأن المصطلح الأصح بكثير قولاً وفعلاً هو «استباق ومنع الأزمات» لأن الوصول إلى مرحلة «إدارة أزمة» معناها : المخاطرة الكبيرة بالنجاح أو الفشل فى إدارتها.. هذا فى أحسن الأحوال، لأن هناك نوعية من الأزمات، كالأزمات الطائفية مثلاً معنى الوصول إلى مرحلة إدارتها يعنى الترهل والتكاسل واللاعلمية واللامنهجية فى التعامل مع أزمات ليس لها إلا أن تمنع وتستبق حتى لا تحدث من الأصل.. ويضاف إلى الطين الكثير من البلل المؤذى إذا كان مستوى إدارة الأزمة على النحو الذى نراه اليوم، سواء فيما يتعلق بأحداث الإسكندرية أو ما يشابهها، حيث الإدارة المنعزلة تماماً عن «قاعدة علمية بالآليات المطلوبة، كما يحدث فى دول العالم المتقدم»، فلا منهجية، بل عشوائية تستمر حتى فيما تبقى من تفاعلات حتى وإن بدأ الجميع فى الإخلاص لغلق الثغرات والمنافذ لمنع احتدام الازمة وعودة الهدوء، فالمسرحية الهزلية فى الاداء تتسم بمايلى :

١ – بيانات تهدئة شكلية لاتتعامل مع أى عمق حقيقى للأزمة لاتخرج عن عقلية المناشدة فقط.

٢ – هروب مسئولين وجهات من الساحة كان عليهم أن يتواجدوا ويتحركوا بفاعلية أكبر بكثير مما هو قائم.. وكأنهم ذهبوا إلى كهوف مقولات سيناريو النعامة «الذى عهدناه فى إدارة أزمات عديدة.

٣ – ترك ساحة التفاعلات الأكثر تأثيراً لعناصر وشخصيات «الإعلام الاصغر» أو أقول «لعناصر» الإعلام الأسود، ممن يتسمون بمستوى سطحى وقاصر إلى أبعد الحدود، حيث يستمرون فى تأدية باقى المهمة بجهالة منقطعة النظير تزيد من تفاقم الأزمات.

٤ – فقدان فكر «الخطوط الحمراء» الحقيقية التى ينبغى أن يتم التوافق عليها مجتمعيا لأمن المجتمع ولأمننا القومى، وعلى رأس ذلك ما يتعلق بالوحدة الوطنية.. لأن هناك فرقًا كبيراً بين الديمقراطية والسعى لخراب الأوطان.. فهناك فرق بين التعبير عن الرأى بشكل علمى ومحترم وبين الترهل والتسيب الخطر.

٥ – عدم وجود قنوات تفاعلية مستمرة للتفاعل ورصد ومتابعة وإحباط لسيناريوهات الفتنة فى مراحلها الأولية بالتدخل العلمى والإخلاص الوطنى الحاسم فى إطار هذه القنوات.

**والمطلوب اليوم – الآن الآن وليس غدا – يتمثل فى.**

١ – تدشين آلية من المثقفين ورجال المجتمع من أصحاب العقول المنصفة أو من أحد المجالس المتخصصة العديدة فى الدولة، وليكن مجلس حقوق الإنسان، أو من خلال لجنة من المثقفين ورجال المجتمع يرتبط عملها بالمجلس أو أى صيغة أخرى مشابهة.. لتكون بمثابة آلية ترتبط بصنع القرار لإدارة توابع هذه الأزمة للتأكد من عدم تكرارها، واستباق ومنع كل ما يؤدى إلى المساس بأمننا القومى.

٢ – إيجاد صيغة تفاهمات مجتمعية حول موضوع «الخطوط الحمراء» فى الإعلام وفى واقع التفاعلات المختلفة، بأسلوب التوافق المجتمعى وليس فقط من خلال القوانين والإجراءات الأمنية.. وهذا يحتاج إلى جهود إعلامية وتعليمية مطلوبة وحيوية. فموضوع «الخطوط الحمراء» هذا يوجد فى أكثر الديمقراطيات توسعا وتقدماً.

٣ – النظر إلى الأزمة من خلال نظرة تكاملية وبحزمة متكاملة ومتسقة من الإجراءات بعيداً عن الإختزال والإلحاق الخاطئ والتفسير التجزئى فقط

لعناصر الازمات.. والإهتمام بمرحلة ما بعد هدوء الازمة.. فلاننتظر حتى تتكرر المأساة.

٤ – شغل مساحات التفاوض المهجورة من تواجدنا الفعال على ساحة التفاعلات الدولية، بما يمكننا من تدشين «منصات فكرية» متميزة يكون لها القدرة على المبادرات الإيجابية، لإحتواء وإفساد سيناريوهات التدخل الخارجي من ناحية وتقليل حجم الضرر من استفادة عناصر العداء لمزيد من الاستهداف لمصر وللمنطقة على حساب أجندتنا الوطنية وسيادتنا على أراضينا ومقدراتنا..

(الكاتب–الأخبار٢٧/١٠/٢٠٠٥)

obeikandl.com

## ٨ - بين «التسويق السياسي» و«أجندة للتفاوض الجماعى»

تشهد مصر حراكاً سياسياً غير مسبوق، وهذا الحراك على مستوى جميع التيارات الفاعلة بالمجتمع، وهو نتيجة لجهود جميع التيارات على اختلاف توجهاتها فى مصر، وينبع من الإحساس العام لدى الجميع بأهمية الإنتقال من نظام حكم جرى فى إطار دستورى عام ٧١ وفى إطار أعراف أخرى عديدة، إلى نظام حكم جديد يتعامل مع تغيرات هيكلية يمر بها المجتمع وطبيعة العصر وظروفه التى نحتاج إلى التواؤم والتفاعل معها بإيجابية وبأداء أفضل.

لقد تغيرت خريطة الواقع السياسى فى مصر بشكل ملحوظ، فلقد عكس الخطاب الرئاسى فى مصر لأول مرة أهمية إصلاح الدستور وتحديد الصلاحيات المطلقة لرئيس الجمهورية، وتحدث عن إلغاء قانون الطوارئ.. وعن مرشحين للرئاسة.. وكلها أمور لم تكن واردة فى نفس الخطاب السياسى الرئاسى منذ عدة أشهر فقط.

ولاشك أن هذا الخطاب قد استجاب لأجندة المصريين كلهم حكومة ومعارضة وشعباً.

من هنا يمكننا أن نصف الوضع الراهن بأنه قد يكون بمثابة الفرصة الذهبية لمصر لكى تحدث نقلة نوعية فى أسلوب الحكم وفى تحقيق مستوى الديمقراطية التى تليق بعراقة شعب مصر وحضارته .. ولكن لابد أن تسعى إلى ترشيد التفاعلات بعيدا عن الاحتقانات والانفعالات والتلاسن عن طريق فتح صفحة جديدة لواقع تفاعلات جديدة بعيدا عن أساليب بآلية تكرست فى تفاعلات العقل العربى عموما من حيث لغة الإقصاء المتعادل والتسلط فى الحوار، أو شيوع خطابات الطمأنة الوهمية «وليس فى الإمكان أحسن مما كان» وخطابات الجرعات الديمقراطية المراوغة والتزلف والالتفاف.. فنحن بحاجة إلى خطاب يُعنى بتكريس ثقافة التفاوض النضالى الجماعى.

والتفاوض هو القدرة على إدارة الأجندات المختلفة أو المتصارعة، وأصفة فى سياقنا هنا بأهمية أن يكون «نضالياً جماعياً» أى لا يفهم منه أنه تفاوض المصالح الذاتية والشخصانية الضيقة التى كادت أن تدمر عمليات بناء الثقة فى المجتمع.

***

والمقصود أن ندشن ثقافة التفاوض الإيجابى الجماعى النضالى.. وأقصد بالنضالى هنا ألا يكون متراخيا ووقتيا، بل يكون مصحوبا بجهود تراكمية مستمرة.. هذا التفاوض لابد له أن يصل إلى حلول ملموسة ومتراكمة فى قضايا التغلب على

مشاكل البطالة، ومشاكل صحة المواطنين، وتفعيل دور الجامعات والبحث العلمى بما يحقق التفعيل الأقصى للطاقات والمصادر البشرية، وغير البشرية المتاحة فى الوطن، لنضيف إلى قوته على جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية والمجتمعية والعسكرية... من خلال الاعتماد على نظم وليس أفراد .. أى أنه قد أصبح من المتعيّن علينا أن نرفع شعار «أهل الخبرة» لأنهم فى النهاية هم أهل الثقة الحقيقية، وأن نطوى صفحات أهل الثقة أولاً وأخيراً.

هذا ما أقصد بأجندة التفاوض الجماعى النضالى.. وهو الأمر الذى لا يتطابق مع مفهوم التسويق السياسى، الذى بدأ فى تفاعلاتنا السياسية من مفردات العولمة التى تحتاج إلى الوقوف أمامها.

فمفهوم «التسويق السياسى» أو Political Marketing من المصطلحات التى ضُربت على غرار «تسويق البضائع». وهذا المصطلح بدأ يشيع فى التفاعلات السياسية فى الحملات الانتخابية فى الخارج، وخاصة فى الولايات المتحدة.

وهناك مراكز ومعاهد متخصصة يتم الاستعانة بها لترشد المرشحين فى حملاتهم الانتخابية، من حيث كيفية استخدامهم لأدوات الدعاية الانتخابية كالإعلانات السياسية، واستخدام اللغة التعبوية لهذا المرشح أو ذاك، وكيفية التعامل مع كسب الأصوات، وخلق جماعات التبنى للأفكار Advocasy، وكيفية توظيف الإعلام بشكل مؤثر وفاعل لتدعيم حملة مرشح وكشف مشاكل ونقاط ضغط الآخرين.. وأعتقد أن هذا بالطبع ومن الناحية العملية أمر وارد، وأن يتم فى خضم العملية الانتخابية الديمقراطية، ولا بأس بذلك طالما أنه لم تستخدم أساليب غير أخلاقية أو غير شرعية أو تشويهية متعمدة للآخرين.

***

ولكننى لا أعتقد أن مصر بحاجة إلى مفهوم «التسويق السياسى» بالمعانى البراجماتية المحدودة والمذكورة أعلاه.. وأعتد أن مصر بحاجة إلى تدشين ثقافة التفاوض الإيجابى والحوار الأخلاقى المنطلق من قيمنا العريقة، لنركز على مشاكل تواصلية صعبة وتحتاج إلى تدريب وممارسة طويلة على مستوى كل التيارات الفاعلة تبدأ من التعليم والإعلام بعيداً عن أساليب التسلط المعهودة والقابعة فى عمق التعليم والإعلام العربى.. لعهود طويلة.

فالتحديات أمام الجميع، وكمهمة أولى فى هذه الفترة هو السعى إلى ضبط وتفعيل المعادلات التالية لصالح كل من يعيش على أرض هذا الوطن الغالى والمتمثلة فى:

١- بما أن هناك توافقا بين الجميع على إصلاح الدستور، فلابد من إيجاد آلية تواصلية تراعى كل الآراء لجميع التيارات السياسية والمجتمعية، دون أن يلتف حول هذا الأمر من أساءوا من قبل ممن أسمتهم الصحافة القومية والمعارضة بترزية القوانين أو ترزية الدساتير.

٢- بما أن هنا إشارات واضحة لإلغاء قانون الطوارىء، وكيف يتم ذلك، بحيث لا يأتى قانون لمحاربة الإرهاب يتعرض للحريات العامة فيكون الأفضل وليس الأسوأ.

٣- بما أن الاستقرار والتراكم هو المطلوب، فلابد من تبنى معادلات النمو الاقتصادى، بعيداً عن أساليب التناحر والعصيان المدنى والاحتقانات التى تضر ولا تتعامل مع عمق المشاكل المركبة التى تحتاج إلى كل الجهود المخلصة.

٤- بما أن المطلوب الآن هو التوافق وتفعيل أرضية مشتركة بين جميع التيارات الفاعلة ليكون للجميع مساهمتهم التى تحقق أجندة المصلحة العليا للوطن، فإن علينا أن ندرك أن عملية صياغة الأرضيات المشتركة هى مهمة ليست سهلة على الإطلاق وتحتاج إلى حالة نفسية إيجابية غير محتقنة، وإلى تدريب تقنى عال... وهو الأمر الذى سنتناوله تفصيلاً فى سياق قادم بإذن الله.. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار١٨/٨/٢٠٠٥)

openkandl.com

## ٩ - «الأمريكان» ومانديلا والإخوان

نحن بحاجة إلى حوار موسع لفهم ملفات تفاعلية تمكننا من فهم الظواهر السياسية التى تجتاح المشهد السياسى الراهن.

ومن مستلزمات هذا الفهم العلمى والموضوعى أن نتعرف على الخلفيات الثقافية الرئيسية للمتفاعلين ونظام قيمهم الذى يحرك مسار الحوارات.

والدافع للكتابة فى هذا الموضوع هو مقابلة أجراها معى أحد الإخوة الإعلاميين وكان محورها عن إبداء الرأى فيما أسماه «بحوار جماعة الإخوان المحظورة مع الأمريكيين». ومجموعة الأسئلة المندرجة فى هذا الإطار، هى نفس الأسئلة التى يتصدى لها عدد كبير من الكتاب خلال المقالات والتغطيات واللقاءات الإعلامية والصحفية هذه الأيام.

إن وجه الاستغراب لدى البعض يتمثل فى الافتراض القائل عندهم بأن هناك نوعا من الخصومة الأساسية بين كل من الإخوان المسلمين المحظورة والأمريكيين على أساس أن الإخوان المسلمين ينظرون بعين الريبة والتخوف، وفكرة الصراع الحتمى بين أمريكا وهذه الجماعة لأسباب عديدة تكاد تكون معروفة للجميع، خاصة أن أمريكا وعلاقاتها «بالإسلام» تشهد مرحلة من العداء السافر - رغم كل التصريحات الدبلوماسية الرسمية، حيث يرى اليمين المتطرف الحاكم فى أمريكا أنه «العدو الأخضر» و«الغواصات الإسلامية» وإلى ما ذلك من مصطلحات «صدام الحضارات». هذا اليمين المتطرف يتشبث بمعادلة أصبحت مبروفة، وهى «نهاية التاريخ» بمعنى أن الوسيلة الوحيدة أمام العالم العربى الإسلامى أن يكون ليبراليا علمانيا كأساس مطلوب من وجهة نظرهم للتقدم، وأن يكون متقبلا لكل القيم الأمريكية الديمقراطية المختومة بالنسر الأمريكى .. إلى آخره.. هذا من ناحية، وإما فالصدام الحضارى فى انتظارهم!!.. من هنا، ومن هذا المنظور الأمريكى يرى البعض أن رفع الإخوان لشعار «الإسلام هو الحل» يضع العقدة فى المنشار وينافى التوجه الأمريكى فى إدارة معادلة الصراع فى الوقت الراهن.. وبالتالى يستغرب البعض من وجود اتصالات وعلاقات قد يرونها «عجيبة» أو «غير منطقية».. وهنا لابد أن نفهم نقطة محورية فى الثقافة السياسية الأمريكية عبر تاريخها الطويل تكاد تقتصر إلى حد بعيد على طبيعة الأمريكيين فى هذا العالم، وهذه النقطة تتمثل فى وجود نمط متسق للتحول الراديكالى «١٨٠» درجة من اتجاه إلى عكسه ونقيضه، فمن الناحية السياسية يشهد التاريخ أن أمريكا التى اعتبرت وأكدت على أن نيلسون مانديلا - الذى يعتبر اليوم بمثابة قديس للحرية والتحرر والبطولة فى أمريكا - كان هو نفسه

وبشحمه ولحمه منذ عقدين من الزمان من «أعتى الإرهابيين». حيث وصفته الحكومة الأمريكية فى ذلك الوقت بأنه «شيوعى إرهابى»!! كذلك ظهر الرئيس عرفات كشريك للسلام لا غنى عنه – فى المنظور الأمريكى – حين استقبلته الإدارة الأمريكية فى حديقة البيت الأبيض ليوقع مع رابين على اتفاق للسلام، وبعدها بعدة سنوات أصبح عرفات – طبقا لنفس المنظور الأمريكى – هو المشكلة والعقبة والكارثة.. إلى آخر ذلك! ومن ناحية التفاعل مع ملفات ذات بعد دينى أساساً – لا ينكر المحلل الموضوعى وجود شعور تاريخى سابق فى الولايات المتحدة معاد للكاثوليك، خاصة فى فترة حرب أمريكا للاستقلال ضد بريطانيا، حيث إن نسبة الكاثوليك ١٪ فى أمريكا، والأغلبية من البروتستانت خاصة – لقد كان الكاثوليك فى ذلك الوقت ولتاريخ قريب بمثابة «الطابور الخامس» و«العدو الكاثوليكى».. وكان أى كاثوليكى هو شخص غير مرغوب فيه داخلياً وخارجياً، أى حسب التعبير الدبلوماسى الإنجليزى المعروف "Persona Non Grata" .. وعكس كل هذا التراث الذى ترسخ لفترة طويلة فى العقل السياسى الثقافى الأمريكى لم يدم حيث تغير الأمر برمته ليصبح جون كيندى أول رئيس كاثوليكى لأمريكا.. وتغيرت مع هذا الحدث الكبير النظرة لكل الكاثوليك، وأصبحوا اليوم – رغم مشاكلهم – الأشخاص المرغوب فيهم فى المشهد الثقافى الأمريكى.

إذا تعرفنا بدقة على هذه السمة الأساسية التى تتسم بها أمريكا على صعيد الثقافة السياسية الديناميكية المتغيرة، وأضفنا إليها الحسابات السياسية الميكافيلية البحتة التى لا تفهم إلا لغة المصالح ولغة القوة، لانصرفنا إلى عدم تضييع الوقت فى التأمل المنهدش والمتعجب لأمريكا ولتصرفاتها!! إن الاهتمام كل الاهتمام ينبغى أن يتركز على زاوية أخرى، وهى بناء القدرة الفاعلة ورفع كفاءة التحرك الإيجابى والاستباقى على أصعدة التفاعل الإيجابى المختلفة مع العالم كله، وأرى هنا بإيجاز أن نسعى ومن خلال هذا المنطلق إلى إنضاج التفاعلات الداخلية بين جميع عناصر الأمة وكل التيارات التى تموج بها بدلاً من الإقصاء أو الاندهاش والجمود وضيق الأفق الذى يمارس فى تفاعلاتنا.

وذلك لأنه لا سبيل إلا الوحدة الوطنية بمعناها الشامل، لتكون مصر قوية وقادرة على التحرك الذى يحمى مصالحها وينقلها إلى آفاق التقدم التى تستحقها، بدلاً من سيناريوهات الإقصاء المتبادل والتشرذم والاستقواء بالخارج من قبل هذا أو ذاك . وفى هذا الإطار لابد من إعادة الحد الأدنى من الثقة المتبادلة، وتبنى الموقف الإيجابى الساعى دائماً إلى تلمس الأرضية المشتركة.. فصناعتها تحتاج إلى جهود كبيرة، فكثير من التفاعلات التى أعتبرها غير موفقة وغير مطلوبة على غرار النداءات بعد

صفحات من التحقيقات التى تقول مثلاً «... ويا أيها المثقفون المصريون.. اتحدوا فى مواجهة الإخوان..» أو تلك التى تقرر فقط أن مشاكل الإخوان، كذا وكذا وكذا ومشاكل الحكومة كذا وكذا، ومثل نداء مواجهة الإخوان هناك من ينادى بالعصيان المدنى والتظاهر إلى أن يسقط الحكومة. والصورتان من صور الاستقطاب والإقصاء المتبادل الذى يكرس فى النهاية البكاء على اللبن المسكوب وترسيخ جمود الحركة والفعل، والذى لن يخدم إلا أعداء هذا الوطن وكل المتربصين به، ولعلى هنا أن أشير إلى أمثلة الكتابات الراشدة والعقلانية فى هذا الموضوع، ومنها مقالة للزميلة والأستاذة الفاضلة د. أمانى قنديل بعنوان «لعبة الكراسى الموسيقية بين النقابات المهنية والبرلمان» (الأهرام ٢٠٠٥/١٢/٤) وكذلك مقال أ. فاروق جويدة بعنوان «الخطايا العشر» (الأهرام ٢٠٠٥/١٢/٢) فمثل هذه الكتابات وبإيجاز شديد تتسع بالموضوعية والعلمية والسعى لكل تحرك إيجابى وفاعل لتلمس إمكانيات وأساليب صياغة الأرضيات المشتركة والحرص على عدم إهدار الفرص الثمينة التى تذهب من جراء أساليب التحفيز والتجمد والإنشاء والإقصاء المتبادل الذى يمارسه الكثيرون مع الأسف الشديد.. إن مصر فى حاجة إلى بناء الجسور المتينة بين كل عناصر التيارات الفاعلة.. بأسلوب إيجابى لصالح الجميع، والأمر يحتاج إلى رؤية صارمة فى هذ الاتجاه يدعمها العلم والموضوعية والسعى الدقيق والرغبة الائتمانية للعبور بهذا الوطن نحو الآفاق التى يستحقها منا جميعا، وأن نسأل الله العلى القديم من قبل ومن بعد أن يوفقنا إلى ذلك فهو نعم المولى ونعم النصير.. وهو سبحان وتعالى المستعان.

(الكاتب-الأخبار٢٠٠٦/١/٢٦)

## ١٠ - التفاوض الجماعى وحرية الرأى والتعبير !

شهد واقعنا الثقافى مؤخراً عدداً من الوقائع والملفات التفاعلية ذات العلاقة الوثيقة بموضوع حرية الرأي والتعبير، ومنذ ذلك، «ملف الطالبة آلاء» وملف التفاعلات حول «عمارة يعقوبيان» وأخيراً وليس آخراً «ملف» قانون الصحافة وحرية التعبير الجديد، وهو الملف الذى شهد حالة من الاستقطاب الحاد واحتجاب لصحف عديدة ومناقشات بمجلس الشعب وتمرير للقانون إلي زن تدخل الرئيس مبارك بعدم التصديق علب البنود التى اعترضت عليها جموع الصحفيين والمثقفين والمعنيين بحقوق حرية الرأى والتعبير .. كان تدخل الرئيس مطلوباً فى حالة الطالبة ولاء كما في حالة الصحفيين وقانون التعبير عن الرأى الجديد لوقف حالات من الاجحاف المقيت الذى يهدد مبدأ حرية الرأى والعبير .. بعد أن كادت الأمور تصل إلى نهاية الطريق المسدود مما يجعل من لبعض بنود القانون «مقصلة» لحرية الرأى والتعبير فى حالة القانون أو أ يدمر مستقبل فتاة فى مقتبل العمر بسبب تعبيرها عن الرأى الذى يقال ويتردد ى وسائل الإعلام من المحيط إلى الخليج .. أين يوجد إذن الخلل فى كل هه الملفات ولماذا تصل كان من المفترض ألا تصل إليها وتستدعى تدخل السيد رئيس الجمهورية ؟!.. إن محاولة الإجابة عن هذا السؤال تجعلنا نتوقف أمام أوجه الإخفاق التي تنتاب عمليات التفاوض الجماعى COLLECTIVE NEGOTIATION وتصل بها ومن بداياتها إلي طريق مسدود وإلى اللاحل بل إلى التفاقم.. فلا يكون أمام الجميع إلا مناشدة السيد الرئيس بالتدخل لتيسير أمورنا بعيداً عن التجمد والاصطدام الحتمى والتصعيد والوصول إلى حالة من الأزمات المتتالية التى كان يتعين علينا استباقها ومنعها من الحدوث فى مراحلها الأولى .. ونظرة تحليله إلى الملفات التى أشارنا إليها تفيدنا بما يلى :

أولاً : بخصوص ملف «آلاء» .. لماذا صعد مدرس الإنشاء الأمر إلى سلطة الأعلى.. وكان يمكنه إذا ما أحسن تدريبه وإعداده كمعلم أن يتعامل مع موضوع الإنشاء بالمنطلقات المعروفة فى العملية التعليمية المنضبطة .. فكان يمكن أن يصحح الموضوع طبقاً لعناصر الحجج ومنها الإدعاء والتنفيذ وإقامة الليل ونغمة الطرح والالتزام بالاتساق فى الموضع .. هذه العناصر كان ينبغى أن تدرس وكان ينبغى أن يعد المعلم ليدرسها وتكون وسيلة لتقييم العناصر العلمية لأى حجة فى أى سياق .. فكان عليه فى حالة «آلاء» وطبقاً لما فهمناه عن مضمون «حجتها» ألا يخرج من خصم بعض الدرجات فيما يتعلق بمكونين فقط وهما «نغمة الطرح» التى ينبغى أن تكون منضبة وليست خارجة أو انفعالية Qualifier أو مكون الاتساق Coherence..

ولكن هذا الملف قد دل على سوء إعداد المعلم من ناحية.. ثم عندما صعد هذا الملف إلى السلطة الأعلى من المعلم.. انتاب هذه السلطة الخوف والقلق فتم التصعيد حتى الوزير .. وهذه كارثة توضح خللاً كبيراً فى العملية التعليمية «شفاها الله وعفاها من كل مكروه» !! .

أما الملف الثانى وهو «عمارة يعقوبيان» والتفاعلات الحادثة بسبب مطالبة بعض نواب مجلس الشعب بمصادرة الفيلم أو حذف بعض من مشاهده .. فهو أمر قد أحدث نوعًا من الاستقطاب الحاد لدرجة أن رأينا أداء نواب المجلس وفى مواجهتهم مخالفات وصفحات كاملة للإعلان جاءت تحت عنوان «بيان إلى عشاق الحرية» من أسرة الفيلم، هذا بالإضافة إلى كم كبير من المقالات الإطلاقية والأحادية المنظور فى كثير من الأحوال تضم من يعارض الفيلم بالوصاية أو «العمل على تحجيب العقل المصرى إلى آخره من تعبيرات المعسكرات المتناحرة وإذا كنا بصدد محاولة رؤية الأثر الكلى لمثل هذه الأعمال من منظور تفاوضى عبر ثقافى فإننى أرى أن الصورة التى نقلها الفيلم فى نهاية المطاف هى صورة صارخة فى سوداويتها واقتربت كثيراً من الصور التى حاول كاتب مثل رافائيل باتى وكاتب آخر مثل جون لافين فى كتاب كل منهما والذى جاء بعنوان العقل العربى The arab Mind أن ينقلها ليقول للعالم كله.. هكذا هى صورتهم ومن المعروف لكل مطلع على أهم الأدبيات الغربية فى الغرب عن العرب أن كل من باتى ولافين من الكتاب المستغرقين فى نظرتهم الصهيونية.. السوداوية الجائرة.. كنت أتمنى أن تكون رؤية المبدع العربى أقل سوداوية وجلداً للذات وأكثر عدلاً أو أكثر توازناً وأكثر استنهاضاً للعوامل الإيجابية الكامنة فى عمق القيم العربية الإسلامية بدلاً من الاستغراق فى وصف المحبط والشاذ.. وهذا لا يعنى أبداً ألا نشير الواقع ولكن الواقع بكلياته وتوازناته ومع الأسف فإن الدوائر المعادية تحب أن تسمع وترى مصر ولك عربى كما وصفهم هذا العمل بأحادية وسوداوية عجيبة !! وكأنها المرادف «للإبداع» !! أما الملف الثالث هو عن قانون الصحافة فهو حالة ثالثة من الاستقطاب الحاد والمؤسف هو الآخر .. سواء كان من ناحية تسلط وشخصيته بعض البنود تركها كيف مسلط على حرية الرأى والتعبير أو من خلال الذين يريدون صحافة بلا مسئولية حقيقية، وربما يكون من المهم وبعد أن نسقط كل ما يؤدى إلى أى اعتداء أو إجحاف بحرية الرأى والتعبير أن نذكر هنا خلاصة المبادئ التى يقرها كل من يمارس ويعسى لتعميق دور الصحافة وحرية التعبير فى المجتمع وأن نزرع ذلك فى كل من التدريبات والتعليم والممارسة العملية، وهذه المبادئ الأساسية هي :

١ – أن الصدق هو الإلتزام الأول للصحفيين .

٢ – أن ولاء الصحافة الأول يكون للمواطنين .

٣ – أن تتعمق مهنية التحقيق والتمحيص العلمى والموضوعى .

٤ – يجب أن تكون الصحافة رقيباً عادلاً ومستقلاً .

٥ – يجب أن تتوازن الأخبار فلا تكون الصحافة «والإعلام» مرادفاً للأخبار السيئة فقط

٦ – يجب أن تشكل الصحافة منبراً للنقد الموضوعى والمنهجى بعيداً عن التجريح والقذف أو السب وأن تكون منبراً لتقديم الحلول المتوازنة التى تخدم قضايا واستنهاض طاقات المجتمع ومراعاة المصالح العليا الحقيقية للأوطان أى أن تكون منبراً لعمليات التفاوض الجماعى الإيجابية بعياً عن حالة الاستقطاب الحادة والأحادية والسوداوية والإطلاقية التى هى سمة اللاتفاوض الجماعى السلبى الذى لا يعنى سوى بإثبات وجهة نظر واحدة جامدة وقاصرة، نعبر عنها فى أدبيات التفاوض بمصطلح Positional Bargaining.. فى النهاية لعل أن يكون هناك ما نستفيده ونتعلمه جميعاً من سلبيات الملفات الثلاثة المستشار إليها لتجاوزها وعبورها نحو آفاق أفضل فى عالم لن يرحم المتسحلف والمحتقن والمتجمد والمندهش والمحبط. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان ..

(الكاتب–الأخبار١٣/٧/٢٠٠٦)

## ثانيا: فى موضوع الحوار والتفاوض مع الغرب

### ١١ - الحوار مع الغرب وتعليق على مقال «خافيير سولانا»

كتب السيد «خافيير سولانا»، الممثل الأعلى للعلاقات الخارجية والشئون الأمنية بالاتحاد الأوربى مقالاً مهماً بعنوان «برشلونة بعد عشرة أعوام دفعة جديدة لرؤيا باقية» ونشرته الأخبار يوم الخميس الماضى على هذه الصفحة بتاريخ ٢٠٠٥/١١/٢٤. وأجد - من باب المزيد من تعميق الحوار والترحيب به - أن أقوم بالتعليق على هذا المقال المهم، وذلك بحكم أننى واحد من الذين تفاعلوا ومارسوا الحوار فى إطار عملية برشلونة الممتدة، حيث كانت أول مشاركة لى فى بدء العملية من خلال بحث علمى عن آفاق التعاون بين شمال المتوسط وجنوبه، وجاء بعنوان «لغويات الوعى واللاوعى كبعد جديد فى إجراءات بناء الثقة: حالة الحوار العربى الأوربى المتوسطى..» وجاءت هذه المشاركة بتكليف من وزارة الخارجية المصرية التى أحسنت باستضافة كل أعضاء منظمة الأمن والتعاون فى أوربا فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٩٥. وتتابعت مشاركاتى بعد ذلك فى إطار عملية برشلونة التى أرى أنها، وكما وصفها السيد سولانا، بأنها تحتاج إلى دفعة قوية فى الاتجاه السليم، خاصة وأنها حيوية للغاية لدفع جهود بناء السلام والتنمية فى منطقتنا لصالح العالم أجمع. وما شجعنى على هذا التعليق هو روح الحوار والاستمرارية التى تتسم بها عملية برشلونة بصفة عامة، والروح العالية التى يتسم به السيد سولانا.. من هنا أقدم تعليقى فيما يلى من نقاط:

١- يتفق المحلل الموضوعى مع السيد سولانا فيما تحدث فيه عن موضوع «الإيقاع» PACE، فحجم المشاكل وتدافعها وتلاحق الأحداث من ناحية ومنظومة التفاوض وكثرة عدد المفاوضين وتمثيلهم «عبر الثقافات» من دبلوماسية المسار الأول الرسمية إلى دبلوماسية المسار الثانى المتمثلة فى الإعلام ومنظمات المجتمع المدنى والمفكرين المشاركين فى عملية برشلونة؛ يفرض تحديا كبيرا جدا على إمكانية تحقيق الأهداف الإيجابية التى تم الاتفاق عليها بين دول شمال وجنوب المتوسط.

ولذلك أرى أهمية وجوب السعى الأكبر لتحسين قنوات التواصل وآلياتها لتفعيل أكبر لحالة الحوار بين المشاركين.

٢- نشارك السيد خافيير سولانا أهمية التطور الذى تحقق بدخول أوربا إلى معترك إدارة الصراع العربى الإسرائيلى من خلال اللجنة الرباعية، بعد أن كانت هناك صعوبات أو تأخر فى دخول أوربا - الأقرب فهما لمشكلة الشرق الأوسط - لتكون

لاعبا محوريا، ولا شك أن اشتراك أوربا بدعم عملية السلام ودعم الفلسطينيين لهو أمر محمود ومهم، خاصة دخول الاتحاد الأوربى بصيغة فاعلة كمراقب للمعبر الحدودى فى غزة مؤخرا، ففى هذه الخطوة تحرك إيجابى لفتح الأبواب المغلقة لتحرير ودعم الاقتصاد الفلسطينى، وهو الأمر الذى يحتاج بالقطع إلى مزيد من الخطوات على هذا الصعيد..

٣- نتفق مع السيد سولانا فى أهمية المعادلة التى رصدها فى مقاله بخصوص عمليات الإصلاح التى لابد أن تنبع من الداخل العربى، وأهمية مد العون الإيجابى أكثر لمن يتجاوب مع معايير «الحكم الرشيد فى بلاده» فهذا النمط من المعادلات أكثر جدوى من منهج التدخل الخارجى المفروض والمرفوض قطعا من شعوب المنطقة.

٤- فيما يتعلق بموضوعات الهوية والتعددية الثقافية والتعامل مع هذا المحور، فإن هذا البعد وملفاته المتعددة سواء فيما يتعلق بالداخل الأوربى اليوم، أو فيما يخص دول جنوب المتوسط، فإنه ولاشك بحاجة ماسة إلى المزيد والمزيد من التفاعل والنقاش والتفاوض البناء، للوصول إلى حلول لصالح الجميع، وربما لضيق المساحة أرصد هنا مطلباً مهما وهو المزيد من التفاعل الإيجابى لوقف الترويج للخلط القائم بين الإسلام والإرهاب، وتجريم كل من يعتدى على الهوية الدينية للآخر.. سواء كان ذلك فيما يتعلق بالإسلام اليوم أو أى ديانة أخرى.. ولابد من رفع شعار أن المخطيئ هو أو هم أفراد وليسوا جاليات، وليسوا أوطانا.. فهذا الفصل المهم يحد من المشاعر التى تتأجج عند حادثة هنا أو هناك.. وتفعيل وتحقيق هذا المطلب يدعم عملية إدارة جميع الأزمات التى قد تحدث ويساعدنا على استباقها ومنع حدوثها لصالح الجميع .. وفى النهاية تحية لكل من يسعى بجد واجتهاد فى هذا العالم نحو مجتمع عالمى أكثر أمنا واستقرارا وإنسانية ونماءً. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار١/١٢/٢٠٠٥)

# ١٢ - العرب وحوار الشمال والجنوب

# وتحديات التفاوض فى قمة المعلومات ..!

انعقد بتونس فى الفترة من ١٧-١٩ نوفمبر ٢٠٠٥ ما عُـرف بالقمـة العالمية لمجتمع المعلومات، ولقد حضر فاعليات هذه القمة ١٧ ألف مندوب من ١٧٣ دولة.

والأجندة الرئيسية المعلنة لهذا المؤتمر وما ينبثق عنها، تتعلق بموضوع الفجوة الرقمية بين شمال العالم وجنوبه، أو بين الدول المتقدمة والنامية، وهو الامر الذى تعرضنا له بشىء من التفصيل فى مقال سابق فى سلسلة الحديث عن تدشين القاعدة العلمية فى مصر بالمستوى الذى ينبغى وأن يكون. ولا شك أن رصد ما يحدث فى هذا المؤتمر يعتبر استكمالا للقضايا التى خضنا فيها.

ولعل من الضرورى توضيح قصة وخلفية هذا المؤتمر التى تساعدنا كذلك على فهم طبيعة مفهوم «العولمة» بشكل ملموس، فهذا المؤتمر هو كذلك استكمال لمسيرة «العولمة» المتحدة لعدة اتجاهات.. فمعظم مفاوضات ما يعرف بعمليات العولمة يأخذ شكل «سلسلة من المؤتمرات الدولية الكبرى».. وفيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وما عُرف «بالفجوة الرقمية» فلقد سبق مؤتمر تونس الأخير، المؤتمر التحضيرى الأول لقمة المعلومات فى الفترة من ١٠-١٢ ديسمبر ٢٠٠٣ فى جنيف بسويسرا، والذى شهد قبل انعقاده جلسات تفاوضية مكثفة بين ممثلى الوفود، والتى لعب الوفد السويسرى المنظم للمؤتمر الأول جهدا رئيسيا، وكان ذلك بهدف عمليات وضع أجندة المؤتمر المعقدة (Agenda Selting) ، خاصة فى ظل وجود رؤى تتسم بالتباين الكبير بين الوفود المشاركة.

ولقد صاحب تلك العمليات مؤتمرات دبلوماسية المسار الثانى المتمثلة فى عدة مؤتمرات محلية تصب نتائجها عند «مصب» مؤتمرى القمة العالمية الأولى للمعلومات. ولقد اتسمت طبيعة الطرح التفاوضى بموضوعات وأسئلة على غرار ما يلى.

١ - كيف يتم عبور «الفجوة الرقمية» بين الشمال والجنوب فى ظل تباين آخذ فى الازدياد سيؤثر سلبا على العالم اجمع فى نهاية المطاف؟ وهذا السؤال يتعلق بالتكلفة العالية وتبوعها التقنية، والمتمثلة فى استخدام الكمبيوتر وبرامجه بالنسبة للدول النامية والفقيرة والتى تتوافر فى البلاد المتقدمة والغنية.

٢ – من الذى يسيطر على عمق عمليات شبكة الإنترنت فى المستقبل؟، وهذا السؤال معروف الإجابة إلى الآن.. فالذى يسيطر على شبكة المعلومات هو «الأخ الأمريكى الأكبر».

وذلك من خلال أشهر جمعية أهلية (The BIG Brother) غير حكومية تسمى بـ (ICANN) وهى إختصار للكلمات التالية بالإنجليزية : شركة الإنترنت للأسماء المحددة والأرقام الكودية.. وهذه الجمعية هى جمعية قريبة الصلة جداً بالحكومة الأمريكية، وهى المسيطر الفعلى على عمق عمليات شبكة الإنترنت. وهذا السؤال الخاص بالسيطرة كان محور إهتمام ممثلى الاتحاد الأوربى.. حيث هناك صراع ما يدور على أهمية نزع الهيمنة الأمريكية من على الشبكة وتحويل عمليات السيطرة على الشبكة إلى عمليات مشتركة بين الدول، وخاصة بين الاتحاد الأوربى والولايات المتحدة.. وهناك كذلك أجندة تنادى بأن تنتقل السيطرة من الدول إلى الأمم المتحدة، ولكن هذه الأجندة معقدة وصعبة ومتداخلة، وتتقاطع مع كل النداءات والاقتراحات والمطالب الخاصة بإعادة صياغة دور الأمم المتحدة ذاته، وعلاقة الأمم المتحدة بالدول الكبرى وخاصة بأمريكا.. الأمر الذى جعل البعض يقول من باب الطرافة مصطلح «الأمم المتحدة الأمريكية»!!. كنوع من الإسقاط على طبيعة الإصلاح الذى ينبغى إحداثه للأمم المتحدة، ليعبر الإسم عن دلالاته المفترضة، وبخصوص هذا الامر، تم وصول المفاوضات إلى إبقاء الامر، كما هو عليه، ويقال إن هناك صفقة حدثت بالفعل بين المعنيين بهذه الأجندة، حيث صرح احد المفاوضين الألمان على سبيل المثال بأن من الأفضل إبقاء أمر الشبكة فى الوقت الراهن كما هو عليه.. وقوله بخطورة تقاسم السيطرة على قطاعات الشبكة.. على الأقل فى الظروف الدولية الراهنة.

٣ – هناك أجندة أخرى ترى توسيع الأجندات المطروحة إلى أمـــور أكثر من النطاقات الفنية الضيقة إلى موضوعات سياسية أخرى «غير من يسيطر على الشبكة .. أمريكا أم أوربا أم الأمم المتحدة».. إلى مسائل تتعلق بحقوق الإنسان، والموضوعات الخاصة بالهوية الثقافية، والتعددية اللغوية، والملكية الفكرية إلى آخره.

هذا بعض ما يمكننا إثارته فى مساحة هذا المقال الذى أردنا أن نلقى من خلاله الضوء على ضخامة الأجندات وصعوبة إدارتها فى ظل أكثر من مائة وفد مشارك

وهى أمور تحتاج إلى فترة زمنية طويلة، لتسفر المفاوضات فيها إلى شئ يحقق نوعاً من التوازن فى علاقات الشمال بالجنوب.. فالأمر يرتبط بالقواعد العلمية والمجتمعية الداخلية القادرة على إدارة مثل تلك التحديات الكبيرة التى أشرنا إلى أهمها.. ولكن اللافت للنظر هو الاستخدام المخل لمصطلح الحل الوسط (COMPROMISE) فالحل الوسط الذى يبدو أن القمة فى تونس قد انتهت عليه هو ترك الأمور كما هى عليه.. حتى إشعار آخر، والله ولى التوفيق. وللحديث بقية.

(الكاتب-الأخبار٢٤/١١/٢٠٠٥)

obeikandl.com

# ١٣ - مواجهة الإرهاب .. معجميا

**** سافرت لإلقاء بحث لى فى المؤتمر الدولى الذى عقد بجامعة أكسفورد العريقة (٣٠-٣١ يوليو ٢٠٠٤) عن البرمجة اللغوية العصبية والتفاوض الجماعى واستخدامها لفهم وإدارة مشاكل التدخين وإثاره المدمرة على عدة أصعدة، وما يثيره هذا الأمر من اسئلة علمية واجتماعية وإعلامية إقليميا ودوليا.**

فى وقائع المؤتمر قدم أحد الباحثين المتميزين دراسته عن تطوير المعاجم العربية الإنجليزية والعكس، بحيث تكون أكثر دقة فى توصيل المعانى دون لبس وغموض، وهذا الباحث بلجيكى وهو الدكتور «مارك فان مول» وأوضح الجهود فى هذا الصدد فى إطار ما يعرف اليوم بعلم «لغويات الماسوب» [computational linguistics] والكلام يطول عن مستويات الطرح فى هذا المجال الواعد الذى ينبغى أن نعد الباحثين عندنا فى إطاره كأحد فروع علوم اللغويات الحديثة والمهمة، إلا أننى وعندما سألته وهو يتقن العربية والإنجليزية بجانب لغته الأم أن يترجم طبقا للمنظومة التى عرضها كلمة «ترهبون» كما جاءت فى الآية القرآنية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ «الأنفال ٦٠».

وجدت الكلمة لن تخرج عن ترجمتها إلى كلمة [Terrorize] كالعادة وهى ترجمة على المستوى السطحى، والكلمة هذه وفى سياق هذه الآية الكريمة يساء استخدامها فى الحملة ضد الإسلام فى الغرب للتدليل الخاطئ على أن كلمة الإرهاب فى عمق النص القرآنى والعياذ بالله، وهنا أوضحت أن الترجمة الدقيقة لا يمكن أن تكون كلمة [Terrorize] بالإنجليزية الشائعة ولكن [Semantic Value] فإن «ترهبون» تعنى بالإنجليزية كلمات أخرى لاغبار عليها للمتلقى فى ثقافة اللغة الإنجليزية، لأن الكلمة فى سياق الآية الكريمة تأتى طبقا لتحليل المعنى العميق «تردعون» "Deter" أو بمعنى ترغمون الآخرين على احترامكم فلا يعتدون (To In-still Respect) وأوضحت لأنه من القواعد الصارمة لتدقيق الترجمة ما يعرف بسوابق الخطاب ولواحقه، واللاحقة المفسرة للمعنى الدقيق بالعربية لكلمة «ترهبون» بمعنى الردع هو ما يأتى بعد الآية الكريمة مباشرة فى قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ «الأنفال ٦١» وما أرقى المعنى الإنسانى، أى أن الردع هو لتحقيق السلام وعدم التجرؤ من قبل الآخرين. إذن فهو أبعد ما يكون عن معنى الإرهاب الذى يروج له خطأ ويلحق بتعسف شديد بالإسلام، وهنا قال الباحث وأجمع الباحثون فى هذا المؤتمر على أهمية صياغة معاجم من

النوع المفسر بالنص وبالنصوص الثقافية الخاصة، وهذا النوع من المعاجم ليس موجودا إلى اليوم، ومن هنا ستظل الترجمات الخاطئة للقرآن الكريم – وبعضها غير مقصود بالفعل – عائقاً فى تحسين صورة العرب والمسلمين، وبالتالى فنحن فى حاجة ماسة إلى الإسراع بكتابة معجم يشارك فيه نخبة من الخبراء والعلماء، وليكن سريعا، فيتم من خلاله رصد كل الآيات والمقولات التى تعكس ترجمات خاطئة بسبب قلة تدريب المترجم المحترف، وكذلك شيوع قواميس بدائية بحاجة ملحة للتطوير، ولتكن البداية السريعة والملحة نشر معجم لتفسير المفاهيم الخاطئة عن العرب والإسلام فى العقل الغربى.... فهذا جهد مطلوب وينبغى أن تعطى له الأهمية العاجلة من قبل كل من يهمه هذا الأمر.

(الكاتب-الأهرام١٨/٨/٢٠٠٤)

obeikandl.com

## ١٤ - «خبراء الإسلام» فى الغرب !!

قبل ١١ سبتمبر وبعده كان هناك ما يعرف على صعيد التفاعلات الدولية «بخبراء الإسلام».. أى هذا النفر من الباحثين الغربيين المتخصصين فى فهم الثقافة الإسلامية والدين الإسلامى، وهم بالتالى يقومون بإفهام الجمهور الغربى فى كل مناسبة أو حدث يتعلق بالمسلمين بما فهموه أو يفهمونه عن الإسلام والمسلمين.. أى أنهم يقومون بشبه دور الوسيط بين الغرب والعالم الإسلامى.. والمشكلة التى عانى ولا يزال يعانى منها العالم العربى الإسلامى يتمثل فى جزء كبير منها فى هذا «الوسيط» الغربى من خبراء الغرب، ومثل هذه الوساطة الفكرية كثيرا ما تمثل ما يمكن تسميته بعدة أوصاف، مثل : «الفلتر غير الجيد» أو «الوسيط المفتعل» أو أحيانا «الوسيط المخرب».. ولكن ومع ذلك توجد هناك قلة قليلة من الموضوعيين أمثال الكاتبة البريطانية المعروفة كرين أرمستروخ التى تقدم هذه الأيام مجموعة من المحاضرات فى القاهرة، وسوف نعود فى المقال القادم للحديث عن هذه المحاضرات.

لقد كان ولايزال موضوع ما يمكننا تسميته «بخبراء الإسلام فى الغرب» من الموضوعات التى ينبغى أن ندرس تأثيراتها المتباينة والمتعددة المستويات فيما يتعلق بالعلاقة بين العالم العربى الإسلامى والغربى، ولقد خضنا فى أكثر من سياق سابق فى هذا الموضوع المركب وكان آخر هذه السياقات عندما دعانى الأستاذ أحمد عبدون فى برنامجه التليفزيونى الناجح «عم يتساءلون» إلى مداخلة مع د. خالد أبوالفضل مستشار الرئيس جورج بوش للشئون الإسلامية.. ود.أبوالفضل هو محام أمريكى من أصل مصرى ناجح فى أمريكا.. ولكن عندما سألته كيف لكم لا تتدخلون لدى الرئيس جورج بوش وأنتم أحد مستشاريه لتصحيح ما يقوله له خبراء آخرون بخصوص مغالطات ومعلومات غير دقيقة عن الإسلام ذاته، أو بخصوص ما يشيعونه هؤلاء وهم من الأسماء المعروفة فى الولايات المتحدة من آراء ومفاهيم مغلوطة تروج فى واقعها لحرب ضد الإسلام.. بغض النظر عن التصريحات الدبلوماسية للرئيس بوش عن أن حربه ضد الإرهاب وليست ضد المسلمين أو ضد الإسلام كدين.

فلقد أورد له مثل هذا النفر المسمى «بالخبراء فى الإسلام» نصوصا انتزعت من سياقها ومن معناها الأصلى وأصبحت من جراء ذلك عكس ما يذهب إليه جوهر هذا الدين الحنيف الذى يرتكز فى كل مقوماته على إشاعة قيم إنسانية رفعية كالعدل والمساواة واحترام حقوق الغير وحرية الاعتقاد .. إلى آخره.. ولكن ما كان بمثابة مفاجأة فى إجابة د.أبوالفضل.. أنه سارع بقوله إن كونه مستشارا للرئيس بوش للشئون الإسلامية لا يعنى أنه من المقربين إليه.. وأن المقربين له هم من ذلك النفر

الآخر من الخبراء.. وهذه الاجابة أوضحت العمق الحقيقى للمشكلة التى نحن بصددها، وهى مشكلة توصيل المعلومات الصحيحة والدقيقة عن الإسلام والتصدى للزيف والتلفيق المتعمد أو غير المتعمد الذى تدفع ثمنه دول العالم العربى الإسلامى وكذلك الجاليات المسلمة فى أمريكا وأوربا اساساً.

عندما سألته كذلك ماذا تفعلون للتعامل مع الإعلام الأمريكى الذى يقدم هو الآخر قائمة عن «خبراء الإسلام فى الغرب» وهم ممن لا يقدمون كذلك تلك الصورة الصحيحة وتلك المعلومات الدقيقة.. هذا رغم وجود مساحات لا بأس بها فى الإعلام الأمريكى لمن يدركها ولمن يستطيع استغلالها كما كان يفعل إدوار سعيد المفكر المعروف والأستاذ بجامعة كولومبيا، وكذلك كما أدركها واستغلها شاكر بك وزير خارجية البوسنة الذى كان يمتلك مهارات دبلوماسية وتفاوضية عالية، فإذا به يستطيع استغلال قدر كبير للغاية من المساحات الموجودة فى الإعلام الأمريكى بطبيعته رغم كل ما يوصف به هذا الإعلام من تعنت وانحياز.. فهذا القدر كان كافيا لكى يتحرك ذلك الإعلام ويحرك معه الأجندة السياسية، فلا يصبح تابعا لها كما هو الحال فى أكثر التفاعلات.. وكان نتيجة لهذا الجهد الفردى الرائع لشاكر بك أن أسهم ذلك كثيرا فى تفعيل التدخل الدولى فى البوسنة حتى تحقق اتفاق ديتون للسلام.. إلى آخره.. وشاكر بك ومعه أمثلة أخرى قليلة تحتاج إلى مساحات أخرى، فهو من أمثلة الكوادر والخبراء الذين يستطيعون تمثيل الإسلام بشكل مباشر بعيدا عن فلتر «خبراء الإسلام فى الغرب».. وعندما ذكرت ذلك لمستشار الرئيس بوش د.أبوالفضل.. كان رد الرجل فى حدود مشكلة المصادر والميزانيات.. وهو ما لا أقتنع به.. ولعل الأمر بحاجة إلى إدارة معادلة دقيقة ينبغى أن تشارك فى إدارتها الدول العربية الإسلامية من داخلها مع بناء جسور للتواصل بأسلوب شبكى جديد نقوم نحن بتدشينها لتشمل كل الخبراء الممثلين الحقيقيين للعالم الإسلامى.. ومعهم كل الخبراء والمحللين المنصفين فى الغرب.. فهذا الفعل الإيجابى الذى سوف أتحدث عن المزيد من التفاصيل بخصوصه، سيكون لصالحنا بالتأكيد، وكذلك لصالح العالم أجمع.. فهناك فضولية غربية أمريكية، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر وبعد فشل ما يسمى «بالحرب العالمية ضد الإرهاب» التى أدت إلى عكس ما أعلنه بوش بخصوصها.. حيث زاد الإرهاب وزاد عدد الضحايا الأبرياء.. ولا يمكن للعالم إلا أن يعود لكتلته الصامتة فى كل من العالم العربى الإسلامى وفى الغرب لتدشين تفاعلات أخرى.. لابد أن نكون نحن أصحاب المبادرات الإيجابية بخصوصها، والله ولى التوفيق، وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار ١٥/١٢/٢٠٠٥)

## ١٥ - سيزكين والتصدى «لجيش المزيفين» !!

فى لقاء علمى استضافه أ.د. أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر، وضم عددا من أساتذة الجامعة وضيوفها الكرام ومن بينهم مفتى الديار المصرية فضيلة أ.د. على جمعة، قدم د. فؤاد سيزكين محاضرة مهمة من حيث موضوعها وجاءت بعنوان «أهمية الأسناد فى العلوم العربية والإسلامية». والدكتور فؤاد هو ذلك المؤرخ والمستشرق المعروف، وينحدر من أصول تركية، وأمضى حياته العلمية فى ألمانيا، ويشغل منصب «مدير معهد العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت».

ولقد قدم د. سيزكين عدة محاضرات فى مصر، منها : «وصول العرب والمسلمين الأمريكتين واكتشاف غرب الأرض ووضع خرائطها قبل كولولبس»، «والمدخل الى تاريخ العلوم العربية الإسلامية».

ونركز فى هذا المقال على محاضرته التى ألقاها بالجامعة الأزهرية، فنرصد اللقطات التفاعلية التالية:

١ – كان د. «سيزكين» موضع الحفاوة والتقدير الكبيرين من رئيس الجامعة ومن كل الحاضرين نظراً لتقديرهم لدوره المتواصل عبر ما يقرب من نصف القرن من الجهاد العلمى المطلوب لإظهار الحقائق المطموسة عن الحضارة العربية الإسلامية وكشف الأخطاء المنهجية فى التعامل الاستشراقى مع تاريخ العرب والمسلمين.

٢ – أكثر ما استوقفنى فى حديث د. سيزكين هو إدانته لما وصفه بـ «جيش كبير من المزيفين».. الذين سعوا إلى تزييف الكثير فيما يخص التراث العربى الإسلامى عن جهل أو حقد وسوء نية.

يقول د. سيزكين : إنه جيش كبير مسخر لهذه المهمة الهدامة، ويعمل فى إطار منظومة كبيرة من التفاعلات.. وأعتقد ان تعبير «جيش كبير من المزيفين» هو تعبير مستجد لمضمون قديم ومتكرر ومماثل لما أقره العديد من المفكرين العرب، فعلى سبيل المثال، أكد إدوارد سعيد على نفس المعنى فى كتابيه عن «الاستشراق» و «الثقافة والإمبريالية» حيث شبه حركة المستشرقين فى معظمها على كونها «المفرزة الأولى» للإستعمار وأنها لم تكن للفهم والتعلم والتعرف على الثقافات الأخرى بهدف التواصل الإيجابى.. بل لتحقيق الغزو الاستعمارى الغربى للعالم العربى الإسلامى.

اذن لا يخفق المحلل الموضوعى فى أن يرى فكرة «الجيش الكبير للمزيفين»

متجسدة ورئيسية فى فكر سيزكين وكذلك فى فكر إدوارد سعيد، بل وفى غيرهما من العديد من مفكرى ومحللى العالم العربى الإسلامى.

ولكن ما يستوقفنا بشدة هنا أن مقاومة مثل هذا الجيش الفكرى لا تتم إلى الان بشكل منظومى جماعى، وإنما من خلال جهود فردية ومبعثرة تستشعر حالة قوية وحادة من فصول الحروب الثقافية القائمة، حتى أصبحت معها مصطلحات ما يمكننا تسميته «بالقتال الفكرى» عالية الوتيرة ومعبرة عن ضراوة ما تواجهه.. ولعلى أرصد هنا للتدليل على هذه الظاهرة ما ورد فى ختام مقال كتبه د. حسن نافعة عن إدورد سعيد، نشر مؤخراً فى مجلة ألف «العدد ٢٥/٢٠٠٥» حيث اختتم د. نافعة مقاله قائلا : «لقد سقط إدورد سعيد على الدرب وهو يحمل أنبل شعلة.. ولن يكون بوسع أحد أو حتى عشرة أن يحلوا محله فى القريب العاجل، فلقد كان كتيبة، بل قل جيشا بأكمله».

والفقرة أعلاه تذخر بمفردات عسكرة الفكر الذى تستشعره الأمة. من هنا نعود إلى سيزكين الذى أكد أكثر من مرة فى محاضرته أن هدفه هو أن يستنهض طاقات كل الغيورين على هذه الأمة العربية الإسلامية لينفروا للدفاع عن أمتهم وإبطال عمل «جيش المزيفين».. وإنه لمستمر فى جهاده العلمى والمشروع.

٣ – آخر اللقطات التفاعلية فى محاضرة سيزكين تتعلق بثلاثية اللغة والفكر والثقافة وهنا نرصد نقطتين على درجة كبيرة من الأهمية وهما :

أ – حين طالب أحد الأساتذة د. أحمد الطيب رئيس الجامعة بإستضافة أكبر قدر من المستشرقين لمحاورتهم، أكد د. أحمد على الأهمية الكبرى لتعلم وإتقان اللغة ومفاهيم الثقافة الأخرى وفهم مفاتيحها كمطلب أساسى لنجاح مثل هذه الحوارات، فبدونها يظل العائق كبيراً، ولقد كان هذا الأمر مع كل الأسف حاضراً بشكل أو بآخر فى تلك المحاضرة، حيث كانت مهمة فهم ما يقوله د. سيزكين الذى تحدث بالعربية مهمة شاقة إلى حد كبير، فكان هذا الأمر بمثابة العائق لفهم أجزاء عديدة من مقولات د. سيزكين إلا أن الأمر الذى عوض ذلك هو المعرفة المسبقة بفكر د. سيزكين وحب الحاضرين الكبير له وإحساسهم ومعرفتهم بمنزلته العلمية الكبيرة وحماسته الكبيرة.

ب – عندما تعرض د. سيزكين لآراء بعض المستشرقين عزا المشكلة إلى عدم فهمهم ووعيهم بعمق مفاهيم الثقافة العربية الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بفهم آليات الثقافة الشفهية والثقافة الكتابية لدى بعضهم وسوء نية البعض

الآخر. وهنا علق بعض الحاضرين بقولهم إن المشكلة العميقة هى فى توفر «سوء النية».. ونحن نتفق بالطبع أن سوء النية هو أصل كل المشاكل والأزمات الممتدة فى هذا العالم على اتساعه وليس فقط فى إطار تفاعلات الإسلام والغرب، ولكن لابد ونحن بصدد إدارة مثل تلك الأزمات التى لا نريد لها المزيد من الانفلات والتدهور، أن نسعى جاهدين، خاصة ونحن فى «غبار معارك الفكر المتعسكر» الذى أشرنا إليه فى «٣» أعلاه؛ أن نحاول إعطاء مساحة أكبر رغم صعوبة هذا الأمر فى الأجواء الراهنة لوضع العديد من التفاعلات فى مكانها فى خانة «سوء الفهم غير المتعمد» وذلك من باب القاعدة المقصدية الكبرى المتعلقة بأهمية بذل المزيد والمزيد من الجهد لاستجلاء الحقائق بكل دقة.. فهذه المساحة ضرورية للغاية لاستمرار كل أشكال الحوار التفاوضى الممكن، والذى يمكننا من خلاله كسب أرضيات وجولات فكرية.. إن إلغاء مثل هذه المساحات الفكرية لايمثل غلقا لكل قنوات الحوار الإيجابى الممكنة والمتبقية، بل هو أمر أرى أنه عكس سنن الله فى خلقه.. فالاختلاف وعدم فهم البعض للبعض الآخر لمن السنن الكونية.. وبالتالى فإن إدارة الاختلافات والتماس الحد الأدنى من «حسن الظن» وعدم التعميم الإطلاقى لسوء النية هو مطلب علمى وإيمانى معا، يعود إلى المعنى العميق فى الآية الكريمة : «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم»، إلا أن التفاعل فى إطار مثل هذه المساحات المطلوبة وتدشينها نيحتاج إلى تدرب ومهارات حوارية ومعرفة عميقة باللغة والثقافة على الجانبين، كما يتطلب الصبر وقوة الإحتواء الإيجابى. ويبقى بعد ذلك وقبل ذلك السؤال الكبير المفتوح والمتمثل فى : ما السبيل إلى حوار إستراتيجى، نديره من خلال منظومات كبرى يمكنها التعامل مع منظومات «جيش من المزيفين»؟. هذا السؤال ينبغى لكل غيور على هذه الأمة.. لا أن يجيب عنه فقط، بل يسعى لتفعيل تلك المنظومات الإستراتيجية ويجعلها حقيقة لأمة تبنى الإخاء وترد كيد المعتدين. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار٣٠/١٢/٢٠٠٥)

## ١٦ - خطاب أرمسترونج عن الإسلام

تحدثنا فى المقال السابق عن موضوع «خبراء الإسلام فى الغرب» وأهمية أن نقوم بدراسة خطابات هؤلاء الخبراء الذين يلعبون دوراً حاسماً فى نقل الصورة عن الإسلام والمسلمين للمتلقى الغربى، سواء على مستوى الجمهور العادى من خلال الإعلام أو على مستوى السياسيين من خلال الاستشاريين. وفى هذا المقال نقدم قراءة أولية لواحدة ممن ينطبق عليهم مصطلح «خبراء الإسلام فى الغرب».. وهى الكاتبة المعروفة عالميا كرين أرمسترونج، والتى قدمت عدة محاضرات فى القاهرة فى الاسبوع الماضى، ولقد حضرت المحاضرة الرئيسية لها والتى أقيمت فى قاعة إيورت بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وحضرها حشد غفير من المهتمين. وكرين أرمسترونج هى راهبة «سابقا» وكاتبة بريطانية ذات اهتمام كبير بموضوع الأديان، ولها مؤلفات مهمة وعدد كبير من المقالات فى الإعلام الغربى عن نفس الموضوع، ومن أهم ما كتبته من كتب أصبح لها صيت ذائع وإقبال جماهيرى كبير ما يلى : كتاب بعنوان «محمد ﷺ» وكتاب بعنوان «بداية العالم» وكتاب عن القدس بعنوان «القدس : مدينة واحدة وثلاثة أديان» .. إلى آخره وفى كتابها عن الرسول محمد ﷺ كما فى مقالاتها العديدة عن الإسلام، فلقد ذهبت إلى القول بأن الإسلام لا يعرف العنف أو الإرهاب فى جوهر قيمه، بل إنه دين يدعو إلى السلام بأعمق معانيه وللتسامح، ويتسم بالرحابة الكبيرة وصلب العقيدة، ويدعو للتعددية والاقتراب من الآخرين، وليس إلى الإقصاء والأحادية التى تدعو إليها صلب عقائد أخرى (طبقاً للكاتبة) من هنا فإن كرين أرمسترونج فى أول ردود أفعالها عن أحداث ١١ سبتمبر قالت إن من الخطأ الشديد أن تعاملت سلطات الأمن، خاصة فى أمريكا مع أى مسلم على أساس أنه «إرهابى محتمل» وهنا مكمن الخطأ.. لأن الإرهابيين الذين دمروا أبراج نيويورك.. كانوا من هؤلاء الذين ذهبوا ليلة العملية إلى النوادى الليلية وشربوا «الفودكا» وصاحبوا فتيات وهم بذلك لا ينتمون لتعاليم الإسلام التى تمنع ذلك بشكل حاسم.

وتحذر كرين أرمسترونج من التداول الخاطئ لمفهوم الإصلاح بإسقاط معانيه على العالم العربى الإسلامى بالسعى لتطبيقه على غرار الإصلاح الدينى الذى تم فى اوربا فى سياق عقائدى وثقافى واجتماعى مخالف تماماً عن السياق الحاضر أو التاريخى للعرب والمسلمين.. فتقول : إن فى هذا جهلاً بمفهوم الإصلاح، حتى فى سياقه الغربى، ولذلك فإنه لابد من الاقتراب من هذا المفهوم المثير للجدل فى سياقه الأصلى بعيدا عن فكرة القولبة أو الاستنساخ.

تقول كرين أرمستروخ وهى تحاول صياغة فكرة للأرضية المشتركة بعيداً عن المقولات التى تندرج تحت باب «صراع الحضارات» التى تم الترويج لها بشكل مكثف فى الإعلام الغربى : «إن فكرة صدام الحضارات هى فكرة خاطئة، بل أكثر من ذلك فهى مدمرة، ولن يستفيد منها أحد فى نهاية المطاف، ولكن الأقرب هو النظر إلى جوهر القيم المشتركة المتعددة بين العالم العربى الإسلامى والغرب وأنه من المفيد للعالم أجمع السعى لتفعيل هذه القيم على الجانبين.. لان الفكر المتطرف هو فكر لا يخص إلا المتطرفين على الجانبين» وعددت كرين العديد من خصائص فكر التطرف بأمثلة عديدة من الواقع الغربى ذاته، وذكرت أن خطورة التحركات التى تتسم بالجهل تتمثل فى إحداث واختلاق نوع من النقائض، كأن يفترض البعض أن العلمانية Seculanism هى العلاج الشافى للبشر كلهم، فلا يدرك من يروجون لذلك ان التعامل مع التطرف ليس بغرض العلمانية، إنما بالتفسير الصحيح لجوهر الدين.. فالمتطرفون من الأديان كلها لهم سمات واحدة، ومن أهمها تجاهل الأولويات والشعور بالخطر من الرأى الآخر وكره التعددية والهروب منها واستخدام العنف والترويع.. وبالتالى فإن علاج التطرف لا يأتى من خلال العلمانية كما يروج لذلك البعض، بل يأتى الحل من داخل الدين نفسه بالتفسير الحقيقى لجوهر الدين وليس بتفسير المتطرفين وأفعالهم.. وفى دراسة لها بخصوص القدس.. نتوقف أمام هذه الفقرة التى تقول فيها :

«إن المدينة، أى مدينة لا تكون مقدسة إذا حُكمت بالظلم وتُرك العدل.. ومورست فيها إجراءات ضم الأراضى وتدمير ممتلكات الغير وتهديد أماكن عبادة الآخرين وطرد الآمنين من بيوتهم وحرمانهم من أس حقوق الإنسان.. كل هذه الممارسات لا يمكن تبريرها.

وتتساءل كرين أرمستروخ فى نفس هذا السياق بقولها : «إن عرب فلسطين يسألون لماذا يعانون من فقدان وطنهم بسبب جرائم لم يرتكبوها؟ وهى جرائم معاداة السامية التى ارتكبت فى أوربا ضد اليهود.. فلماذا يتحمل الفلسطينيون هذا الثمن؟!

يحتاج خطاب أرمستروخ إلى قراءة أكثر تفصيلاً بالطبع.. ولكن لعل من المهم أن نسعى لتدشين موسوعة تعنى بخطابات «خبراء الإسلام فى الغرب..» لأن هذه الخطابات متعددة ومتفاوتة، وإن كان أغلبها لا يخدم الأجندة التفاوضية العادلة للأمة العربية الإسلامية وينبغى التصدى لها وتفنيدها. إلا أن هناك خطابات عادلة من المهم إدراكها وإقامة رؤوس كبارى إيجابية معها .. وهو الامر الذى سنعود إليه فى مقالات قادمة لنتناول مزيداً من هذه الخطابات بالتحليل. والله ولى التوفيق، وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار٢٢/١٢/٢٠٠٥)

## ١٧ - مناظرة مع فريدمان: الإرهاب الدولى مسئولية من؟

كعادته يطرح الكاتب الأمريكى توماس فريدمان موضوعات تثير الجدل وتستدعى المناظرة والحوار، ولاشك أن مقاله فى جريدة النيويورك تايمزر بعنوانه الطويل: «إذا كانت المشكلة مشكلة مسلمين، فإنها تحتاج إلى حل من المسلمين..» (٢٠٠٥/٧/٨).. والمقال يعبر عن اختزال كبير لمشكلة الإرهاب الدولية، وهو يعبر كذلك عن قطاع كبير فى الإعلام الغربى، ويتأثر به عدد كبير من صانعى القرارات والجمهور العادى فى الغرب، ومن ثم وجبت مناظرته. وسنقدم هذه المناظرة من خلال مستويين هما:

**أولاً: تحليل طرح فريدمان من منظور نظرية الإدراك الذهنى لأُطر المشاكل التفاوضية** : وهذه نظرية راسخة فى لغويات التفاوض لأنها تمد أى مفاوض بالأدوات الرئيسية التى تمكن من التعرف الدقيق على حجم الأطر التى يتعين عليه تحديدها للتعامل مع مشكلة ما.. ولقد ثبت أن هناك الكثير من عمليات التفاوض تخفق بسبب أن الأطراف لم يستعينوا بالعلم الموضوعى لتحديد أطر المشاكل البسيطة، فما بالنا بمشكلة مركبة ومعقدة كمشكلة الإرهاب الدولى ؟

لقد قدم فريدمان فى طرحه بالمقام المشار إليه والذى دعمه بنفس أسلوب الطرح الآحادى فى مقاله أخيراً بعنوان «فقر الكرامة وثروة الغضب فى ٢٠٠٥/٧/١٥) مشكلة الإرهاب ذات الأطر المتعددة على أنها مشكلة ذات إطار واحد مبالغ فيه ويتسم بالتعميم والاختزال غير العلميين.

وخطورة هذا «الإطار الإسلامى» المختزل بمعرفة فريدمان لا يمثل خطأً علميا فقط، بل يمثل نوعا من إثارة التعبئة الجائرة ضد كل المسلمين فى العالم.. وهنا تتم عملية التلاعب والترابط مع أطر الحملة المعادية للإسلام والمسلمين فى الإعلام الغربى، فيكون الإطار الإسلامى الأحادى لفريدمان بمثابة نوع من كب مزيد من الزيت على النيران التى أضرمتها أقلام إعلامية متحيزة وجائرة فى تناولها للإسلام والمسلمين، والأدبيات الغربية التى كتبها غربيون منصفون عن هذه الحملة الجائرة كثيرة، ولقد أكد ذلك كوفى أنان فى دعوته لتحالف الحضارات، لا لصدامها، ولهذا سياق آخر.

إننا وفى مناظرتنا لطرح فريدمان وتحميل كل المسلمين تبعات الإرهاب الدولى نقول إن هذا الجو لا يمنعنا من الاعتراف بأننا فى العالم الإسلامى يتعين علينا القيام بدور مهم للغاية لمقاومة التطرف والإرهاب والقضاء عليه فى كل مكان فى العالم بدافع أنه النقيض الأكبر للإسلام، الذى بعث رسوله ﷺ رحمة للعالمين، والذى

يكرس أكبر الاهتمام لنعمة الأمن وعدم «ترويع الآمنين» وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكل القيم السامية التى تجعله الدين الأكثر انتشاراً فى العالم اليوم، رغم كل المظالم والمفاسد التى تراها.

ولكن مع هذا الدور المسالم الذى يقوم به الغالبية العظمى من مسلمى العالم المسالمين فى صمت، وأهمية المزيد من تفعيله، فإن الدور الذى يلعبه الغرب فى تحمل مشاكل الإرهاب ومقاومته فى العالم هو الدور الأكبر.. فالمسئولية الغربية أكبر من المسئولية الإسلامية بكثير.. لأن الغرب قد صدر للعالم الإسلامى مشكلات عديدة وأسهم فى تأسيس فوضى كبيرة على مدى قرون من عدم المصالحة التى آن لها أن تتم لصالح العالم أجمع.

.. وهذه المصالحة تستدعى النقاش والحوار العلمى المستمر والمنصف والعادل وإذا كنا قد بدأنا بأهمية نظرية تناول الأطر التفاوضية العلمية الصحيحة المعاهدة على حل مشكلة الإرهاب بوضع النقاش هنا، وكما انتقدنا طرح فريدمان، نشير إلى الطرح الصحيح الذى لا يتناقض مع هذه النظرية، والذى تجلى فى ردود الفعل البريطانية التالية:

(١) رد فعل تونى بلير عقب تفجيرات لندن – التى نؤكد على أنها جريمة شنعاء قام بها مجرمون، والتى حرص من خلالها على الفصل بين الإسلام والإرهاب .. بل عبر عن فخره بإنجازات الجالية الإسلامية فى إنجلترا، وأشار إلى أن مشكلة الإرهاب هى مشكلة ذات أبعاد متعددة، ولها ارتباط كذلك بأهمية حل عادل لمشاكل الشرق الأوسط وتحتاج إلى معادلة متكاملة، وهذا كلام يضع المشكلة فى أطرها المتعددة بعيداً عن الاختزال الأحادى.

(٢) كذلك صرح السيد .. أحد رجال الأمن البريطانيين عقب التفجيرات أن هذا وقت عصيب لنا جميعا وعلى الجاليات أن تتوحد، وأن العمل الإجرامى الذى استهدف لندن كان عمل المتطرفين والمجرمين، من هنا فإن علينا التأكيد.. أنه يتعين على الجميع ألا يصم أو يسىء إلى أى جالية أو أن يجعلها مسئولة عن الإرهاب.

(٣) فى البرنامج الشهير الذى تقدمه الـ BBC بعنوان .. فى ٢٠٠٥/٧/١٣، قال السيد فرانكو فراتينى – ممثل مفوضية الاتحاد الأوربى لشئون العدل والأمن – فى رده على سؤال متحيز جاء كما يلى: «هل ستقومون فى دول الاتحاد الأوربى باتخاذ إجراءات صارمة وتصعيدية ضد الجاليات المسلمة؟!

فكانت إجابة السيد فرانكو بعيدة عن تفخيخ السؤال.. ومتميزة حين قال «الإرهابيون أفراد فقط، وليسوا جاليات» وكرر هذه العبارة للتأكيد عليها. وأعتقد أن

هذه الإجابة تصلح شعارا ينبغى ترديده فى جميع وسائل الإعلام المنصفة .. وأضاف مؤكداً إن مشكلة الإرهاب متكاملة، ومتوازنة .. دقيقة وعادلة.

... ولعل فى النقاط الثلاث السابقة ما يصحح خطأ الإطار الأحادى الذى وقع فيه فريدمان.

**ثانياً : فريدمان ومباريات المعلومات الخاطئة.**

المستوى الثانى من التحليل والمناظرة لطرح فريدمان والمعبر عن قطاع كبير فى الميديا الأمريكية خاصة، يتمثل فى البعد العلمى التفاوض الخاص بما يسمى بمباريات المعلومات.

ذكر فريدمان معلومة خاطئة حينما قال «لم يطلع علينا وإلى اليوم أى من شيوخ المسلمين أو أى مجالسهم بفتوى يدين إرهاب وفكر بن لادن ...» إلا أن هذا غير صحيح فهناك مئات من علماء المسلمين ومجالسهم ممن أدانوا فكر بن لادن بوضوح شديد وشبكة الإنترنت زاخرة بهذه البيانات، وعليه أن يدخل على أى موقع إسلامى ليرى بنفسه.

**ثالثاً : فريدمان «وأخلاق القرية»:**

من الأجزاء الطريفة فى مقال فريدمان تلك الأجزاء التى كرر وأكد فيها أهمية دور القرية وكبرائها فى العالم الإسلامى، وما ينبغى لها أن تلعبه فى توضيح العيب والمباح ودعم التصرفات السوية ومنع التصرفات المشينة.. وطالب العالم الإسلامى والقرية وكبراءها يلعب دور التأكيد على العيب و«اللى مايصحش».

ولعلى ألفت نظر الأستاذ فريدمان لخطب الرئيس الراحل أنور السادات – رحمة الله – التى كان لا يخلو العديد منها إلى الإشارة إلى «أخلاق القرية» مما يدل على عمق وتأصل معرفتنا لدور القرية والأخلاق الإنسانية والشهامة التى يتسم بها أهل القرى عندنا، أى وبصراحة نحن لا نريد من يعرفنا بهذا الأمر .. ولكننى أطالب الأخ فريدمان أن يكتب فى مقالاته القادمة إجابات للأسئلة التالية عن أخلاق القرية:

(١) أين كانت أخلاق القرية، ومن أهلها وكبراؤها، وما نوعها فى الغرب ممن قاموا بأبشع صور التصرفات التى يندى لها جبين الإنسانية فى سجن أبو غريب ؟

(٢) أين كانت أخلاق القرية، ومن هم أهل القرية الذين دنسوا القرآن الكريم فى جوانتناموا ودنسوا وانتهكوا حركة المساجد فى العراق وفى فلسطين المحتلة وفى أماكن أخرى فى العالم؟

(٣) أين كانت أخلاق القرية، ومن هم أهل القرية الذين قتلوا مئات الآلاف

من العراقيين وحاصروا ملايين أطفالهم الأبرياء وضربوهم بقنابل محرمة، وخلقوا فوضى عارمة غير مسبوقة فى العراق، وتسببوا فى مقتل وإصابة الآلاف من الجنود الأمريكيين الذين كان لهم ولأمريكا أن يعيشوا بلا هذه الخسائر الكبيرة بدون حرب افتقدت إلى كل مقومات الشرعية الدولية ؟

وكذلك أوجدت فى تبعاتها ما حذرت مصر وحذر الكثير من المنصفين فى العالم من تبعاتها.. وكان آخرها هذا العمل البربرى الهمجى الذى يكتنفه الغموض لمقتل سفيرنا فى العراق – رحمة الله – !

(٤) من هم أهل القرية، ومن هم كبراؤها ممن صنعوا تنظيم القاعدة ؟ وأتذكر هنا قلما أمريكياً متميزاً عن الخيال العلمى كان بعنوان «كيف نصنع وحشاً كاسراً» ؟!.

إن قائمة الأسئلة قد تمتد كثيرا على هذا المنوال، ولكن يكفى أن أدعو فريدمان لقراءة كتاب أمريكى متميز للباحث الأمريكى سام كين بعنوان «وجوه العداء» وهوكتاب رائع لفهم «عقلية الحرب» وعقلية الإرهاب وأهمية تفكيكهما.. وأهم ما يقوله فى سياقنا هذا ما يلى:

«إذا أردنا أن نجد حلولا جديدة لمشكلاتنا المعقدة، فإن علينا أن نتحمل المسئولية لما خلفناه فى الماضى» .

(كتاب وجوه العداء: هاربر أندرو .. ١٩٨٦ ص ١٦٩، فهذا السبيل لحل المشاكل... فهل يتضح لفريدمان ولكل مؤيديه فى الرأى.. أهمية الأطر الأخرى المولدة لسياقات الفوضى والإرهاب وتساقط «الغبار اللاحضارى» وبعد كل أحداث الحرب والإرهاب وأهمية المحافظة على شعور غالبية المسلمين وإنصافهم.. لأنهم أكبر قوة حقيقية بحكم توجههم الطبيعى لأن يقولوا ألف «لا» للإرهاب بكل أشكاله فى كل مكان من هذا العالم .

**(الكاتب-الأهرام١/٨/٢٠٠٥)**

## ١٨ - «أزمة كوبنهاجن» والتعامل مع فخاخ «البرمجة العصبية»!!!

نبدأ هنا بتحرير المصطلحين بالعنوان .. وهما: أولاً: المقصود بأزمة كوبنهاجن، وهى تلك الأزمة المتصاعدة التى دشنتها تلك الرسوم المسيئة التى مثلت عدواناً صارخاً على شعور المسلمين تجاه الرسول محمد ﷺ، والتى استدعت ردود أفعال عميقة من المسلمين عبر العالم. أما المصطلح الثانى فهو البرمجة اللغوية العصبية» (NEURO - Linguistic Programing)، والكلمة الأولى تشير إلى أسلوب التفكير والسيطرة على الأعصاب وتوظيفها إيجابياً، أما الكلمة الثانية، وهى «اللغوية»، فهى المعبرة عن الإستراتيجيات اللغوية المعبرة عن أسلوب التفكير وعن الجهاز العصبى، أما الكلمة الثالثة وهى «البرمجة» فتشير إلى فعل القيام باستهداف أو تحقيق برنامج تفاعلى ما... أو تغيير برنامج ببرنامج آخر .. من هنا سنحاول – وبإيجاز – أن نطبق فكر «البرمجة اللغوية العصبية وأدواتها لتحليل «أزمة كوبنهاجن»... ومن هذا المنطلق نحدد البرامج التفاعلية لأطراف الأزمة وعناصرها، ثم نحدد بعد ذلك البرنامج التفاعلى المطلوب؛ لتدشينه وتحقيقه لكل من يحاول إدارة هذه الأزمة وحلها بأسلوب علمى أخلاقى وإسلامى. وفيما يلى عناصر ونقاط «برنامج» رد فعل المسلمين:

١- شن حملة مدنية شعبية لمقاطعة البضائع الدانيماركية.

٢- المطالبة بالاعتذار عن الإساءة البالغة الموجهة لشخص الرسول ﷺ .

٣- المطالبة بالكف عن مثل هذه الممارسات الموجهة لسيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين.

٤- المطالبة والسعى لاستصدار تشريع قانونى دولى يؤكد على تجريم السب أو الإساءة بأى شكل لرموز المعتقدات الدينية، وخاصة الإسلام الذى أصبح مستباحاً فى وسائل الإعلام الغربية وفى الكثير من السياقات الدولية المرفوضة.

٥- تحولت الجهود المدنية المشرعة فى الأربع نقاط إلى حالة من فقد الأعصاب والتحول إلى حرق عدد من سفارات الدانيمارك والنرويج فى عدد من الواصم العربية والإسلامية، وبدأنا نرى صور الملثمون... والرشاشات و«برنامج تفاعلى تحول إلى مشاهد من العنف».

وفيما يلى عناصر البرنامج التفاعلى للطرف الدانيماركى الذى استدعى رد الفعل:

١- نشر رسوم عن الرسول محمد ﷺ من قبل إحدى المجلات المعروفة، فى مسابقة لكى تصدر هذه الصور فى كتاب للأطفال لاحقاً... وجاء ذلك من وجهة

النظر الدانيماركية تحت «باب حرية التعبير»، وتجاهل هذا الفعل مبدأ توقير الرسول محمد ﷺ وتوقير كل الأنبياء والمرسلين فى الإسلام..

٢- لم يعتذر القائمون على الصحيفة فى بداية الأمر، ولم يقابل رئيس الوزراء الدانيماركى عدداً من وفود سفراء دول عربية إسلامية بخصوص هذا الأمر فى بداية الأحداث، وبعد ظهور بعض ردود الأفعال الغاضبة فى العالم العربى الإسلامى.. ولكن مع تطور الأحداث وزيادة تأثير ردود الفعل على مقاطعة البضائع الدانيماركية تم اللقاء مع الوفود وتم تقديم اعتذار غير واضح.. ثم اعتذار قوى وواضح يوم ٢٠٠٥/٢/٥ عما حدث، وإقرار بالخطأ فى القيام بنشر تلك الرسوم الشائنة ووعد لألا يتكرر ذلك فى المستقبل.

٣- وقف أى تهديدات من جانب المتطرفين فى الدانيمارك، بمسيرة قد تردد الإعلان عنها فى كوبنهاجن «لحرق المصحف» على سبيل التصعيد المتطرف ثم تدخل الأمن الدانيماركى وهدد كل من سيحاول القيام بذلك، وهبت الجالية الإسلامية فى الدانيمارك تجوب كل الميادين المحتملة للتصدى لمثل ذلك الفعل... ثم تم بعد ذلك .. ففى هذه «التهديدات» .

٤- هناك بعض الآراء الدانيماركية والغربية التى لا تزال غير فاهمة أو واعية أو متفهمة لرد الفعل. نأتى فى هذا الجزء من المقال إلى النقطة التالية والخاصة بفخاخ البرمجة اللغوية العصبية التى عكستها هذه الأزمة، ثم نقدم برنامجاً للعمل المستقبلى المطلوب.

يتضح من تحليل وقائع هذه الأزمة وتطوراتها أن الأربع نقاط الأولى المعبرة عن رد فعل المسلمين؛ كانت ذات نتائج إيجابية للغاية، ومن أهمها بعث الروح فى هذه الأمة الكبيرة؛ والتصدى لعمليات استباحة الاسلام ورموز الاسلام - ليس فقط كما حدث فى كوبنهاجن، ولكن ينبغى أن يمتد ذلك إلى أى مكان فى العالم.. ولكن النقطة الخامسة التى ذكرناها فى البرنامج التفاعلى للمسلمين، والخاصة بالحرق والعنف؛ لم تكن سليمة ولا تخدم قوة الحجج وإقامة الحجج التى نجح قطاع كبير من المسلمين فى تقديمها بالأسلوب السلمى الحوارى الراقى، الذى يكون العائد منه أكثر بكثير من الانزلاق إلى منزلق العنف والحرق والتدمير.. بل إن العنف يفقدنا الصورة التى غضبنا من أجل تصحيحها، وبالتالى فإن البرنامج المستقبلى التفاعلى المطلوب يتمثل فى الآتى:

(١) توضيح العملية المعقدة والمركبة، التى تتسم بها عمليات التواصل عبر الثقافات والقيم وأولوياتها لدى الشعوب المختلفة.. وهذا يحتاج إلى متخصصين فى

هذا المجال المفتقد بشكل كبير فى كل من العالمين العربى الإسلامى والغرب، خاصة إذا دخل الدين كمكون تفاعلى رئيسى فى حدث ما، وهذا سيحتاج إلى سياق تفصيلى آخر..

(٢) توضيح خطورة «البرنامج اللغوى العصبى» الذى يطوره ويدعمه المتطرفون والمنغلقون والجاهلون فى الغرب أولاً، وفى العالم العربى الإسلامى ثانياً... وهذا «البرنامج» هو المتمثل فى «زرع مفهوم الصدام الحضارى» وتعميقه حينما تتوفر أى فرصة لذلك... وهذا البرنامج يتطلب وقفه بمفعول دعم برنامج حوار الثقافات والحضارات، من خلال قوة عمل دولية كبيرة من الباحثين والسياسيين والإعلاميين والدبلوماسيين الحريصين على سلامة واستقرار هذا العالم... وهذا البرنامج ينبغى أن يكون استباقياً.. وليس كرد فعل فقط.

(٣) مهمة توصيل رسالة الدين الإيجابية... بمعنى أن معظم الغربيين فى حضارتهم قد انقلبوا على مفهوم الدين، الذى ارتبط بتسلط رجال الدين فى الغرب، وأن الإصلاح فى ذلك الغرب ارتبط بمقاومة الدين وتنحيته جانباً... وهذا الفهم لا ينطبق مع رؤية المسلمين ووقائع تاريخية مختلفة عن السياق التاريخى الغربى.. من هنا اقترح أن نتبنى ذلك «البرنامج التفاعلى» الذى قدم له الرئيس الأمريكى الأسبق كارتر، والذى ينادى بالتركيز على الجانب الإيجابى للأديان واستبداله بالبرنامج القائم اليوم فى العلاقات الدولية على مبدأ «الاختزال العلمانى» "Secular Reductionism"، الذى يرى كارتر وعدد من الباحثين المجددين فى العلاقات الدولية أنه برنامج قد أدى وسيؤدى إلى أزمات دولية عديدة فى المستقبل وينبغى إلغاؤه واستبداله.

(٤) أهمية الوصول إلى أرضية مشتركة دولية فيما يتعلق «بحرية التعبير» والإساءة للآخرين، خاصة لمعتقداتهم.. ولقد خضت فى هذا الأمر المركب بالتفصيل فى سياقات عبر ثقافية ومنها ما يتعلق بملف التفاعل فى الغرب حول رواية «آيات شيطانية»، واترك موجز عناصر منطق الحوار فى هذا السياق قال كنت كتبته فى الإعلام الغربى منذ سنوات بعنوان «على الغرب ألا يقع فى فخ رشدى» (جريدة الهويا ٨٩/٢/٢٨) وسأعود بتفاصيل منطق الحوار مع الغرب فى هذه الجزئية التى لا تزال تتردد من ملف إلى آخر وتحتاج إلى تفاصيل.

(٥) أن نتبنى فى العالم العربى الإسلامى تلك الصحوة لمقاطعة كل أشكال الظلم والعدوان ولكن من خلال البرنامج التفاعلى الإسلامى المنضبط والمتدرج والمتمثل فى القواعد التالية:

* «الضرر لا يزال بضرر أكبر منه» و«لاضرر ولا ضرار» ، العقاب الجماعى لا يقره الإسلام .. يذكرنا الحق سبحانه وتعالى بالمنطلقات التالية فى أواخر سورة النحل:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥).

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) والمعنى هنا هو التدرج وعدم التسرع الذى يتيح فرصة للخصم لكى يتراجع..

* ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) .

أي أن العبرة هنا فى إظهار قوة الرد وقوة الاحتواء المتدرج المتميزة بالتفاعل بإيقاع واثق لا نجزع فيه مما يمكرون .. هذا وبالله التوفيق.

## ١٩ - «الدعاة» و «الخلاف» حول «الأزمة الدنماركية»!

أفرزت ما يمكن تسميته «بالملف أو الأزمة الدنماركية» العديد من ردود الفعل المحلية والدولية، وتحدثنا عن هذه الأزمة الممتدة فى سلسلة مقالات على هه الصفحة، ونستكمل هنا هذه السلسلة بتقديم تحليل ومناقشة لنقطة خلافية تظهر واضحة هذه الأيام فى سعى وحماسة الغيورين على القيام بإدارة جماعية لهذه الأزمة .. وهذه النقطة لخلافية تتمثل فى اعتراض بعض الدعاة الأفاضل مثل الشيخ القرضاوى والشيخ خالد الجندى وغيرهما على ذهاب وفد الداعية المعروف عمرو خالد ومعه نفر ما أسماه عمرو خالد «بسفراء للإسلام» ليقدم سلسلة من اللقات تحت عنوان «هذا نبينا» .. والنقاط المحددة موضع الاعتراض من المعترضين تمثل بوضوح فى الآتى :

١ – ان توقيب الحوار خطأ .. وأنه يحيط أو يضعف الأثر القوى الذى أحدثته هبة المسلمين القوية تجاه الرسوم الشائنة التى وجهت لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ.

٢ – يرى المعترضون أن حوار عمرو خالد بلا آلية وليس ممنهجاً حسب تعبيرهم .

٣ – أنه لابد أن يسبق أى حوار من هذا النوع إعتذاز رسمى واضح من الدنمارك، وخطوات تعبر عن هذا الاعتذار .

٤ – أن الحوار لا يدور بين طرفين متكافئين ولابد من التكافؤ قبل الدخول فى الحوار .

٥ – أن الحوار لابد وأن يدار من جهة كبيرة لتوحيد الجهود مثل الأزهر الشريف «لهذه النقطة تفضل بها الشيخ خالد الجندى خاصة فى طرحه فى برنامج يديره الإعلامى جمال عنايت على شبكة أوربيت» .

بخصوص توقيت الحوار وأنه توقيت خاطئ وما صاحب ذلك من مفردات لا تخدم أى حوار يوصف م يقوم بالحوار «سواء الداعية عمرو خالد» بأنه يحبط الحوار وبعض المشاركات فى هذا الحوار وصفت الفعل «بالانبطاح».. وهنا لابد أن نؤكد أن علينا جميعاً فى حواراتنا أن نتجنب ما نسميه فى لغويات الحوار والتفاوض «بأخلاقيات الوصم» السلبية، خاصة ونحن نحاول استكشاف أى أسلوب أو أى توجه هو الأفضل للصالح العام، خاصة أن كل المتحدثين من الدعاة الأفاضل.. خاصة أن حوار مثل الذى يعسى للدخول المباشر والسريع فيه الداعية عمرو خالد وغيره منالدعاة أو المعنيين قد يكون هو الخطوة الصحيحة والمطلوبة .. خاصة أن الإيقاع البطئ جداً الذى سيؤدى إليه إعتراض المعترضين يفقدنا شيئاً مهماً وهو «استغلال زمن الاستماع والإصغاء»..

وزمن الإصغاء الذى لابد أن نستغله بسرعة ولياقة ذهنية وحركية يتمثل فى وجود عوامل عديدة متاحة وقد لا تكون متاحة عند «التسحلف» المعتاد.. وهذه العوامل التى أري أنه قد توافر لها الحد الأدنى المعقول تتمثل فى الآتى :

أ – ان الجريدة الدنماركية قد اعتذرت إعتذاراً واضحاً وأكثر من مرة وتعهدت بالإعتراف بالخطأ والإعتذار بطريقتهم .. ولكن كان هناك إعتذار حسن وإن لم يكن بالمستوى المطلوب .

ب – ان الوفود قد توافدت وحضر مؤخراً إلى القاهرة وفد دنماركى كبير وعلى مستوى عال من الكنيسة الإنجيلية اللوثرية وقابل القيادات الدينية المتمثلة فى فضيلة شيخ الأزهر الشريف وفضيلة مفتى الديار المصرية د. على جمعة .. جاء هذا الوفد ليقدم إعتذاره بكل وضوح وقوة للجميع وحين التقيت بأعضاء هذا الوفد الذى دار مع حوار مطول فى منتدى حوار الثقافات بالهيئة الإنجيلية المصرية ذكر القس نيسلن وهو سكرتير عام الارسالية الدنماركية أن ما حدث كان خطأ كبيراً على المستوى الدنماركى وكانت هناك أخطاء للحكومة بالطبع فى إدارة تلك الأزمة ولكن نحن بحاجة ماسة للحوار مع العالم العربى الإسلامى .. لأننا أصبحنا فى حوار دنماركى داخلى قوى .. أقول لكم لأن ما حدث قد أوقفنا وجعلنا نتأمل ونقيم الأخطاء التى وقعنا فيها وأننا لم نكن على صواب فى إدارة علاقاتنا مع الجاليات داخل الدنمارك ومنها الجالية المسلمة هناك ولابد لنا من تصحيح ذلك .. وقال القس نلسن .. انه قد أسعده كثيراً وتأثر بعمق من اللقاءات التى ذهب واستمع فيها إلى القيادات الدينية وما ذكره كل من فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة المفتى حول أهمية وحيوية الحوار الذى يمثل جوهر الفكر والعقيدة الإسلامية .. ما المشكلة فى الحوار الذى يتطلب منا جميعاً بأن «لنفر خفافاً وثقالاً» و «نحاول بالتى هى أحسن» وأن نطالب بما نراه من حقوق وخطوات مطلوبة .

ان الشئ الغريب حقاً ولا يمكن قبوله هو وجود حالة من «القصور النفسى لدى البعض ممن يطالبون بأن يكون الحوار متكافئاً».. الأمر عجيب حقاً فقد يكون ذلك كلاماً معقولاً فى مفاوضات الجات أو فى بعض الملفات الخرى ولو أن هناك أسلوباً علمياً لإدارة المفاوضات غير المتكافئة ولكنه مستهجن عندا يكون بين مثقف أو داعية ينتمى للعالم العربى الإسلامى وأى طرف فى الدنيا .. اعتقد أننا نملك الكفاءة ونملك زرع التكافؤ بإرادتنا الحرة وقدراتنا العالية .. وفى الملف الدنماركى.. الدنماركيون المعتذرون يطلبون أن يفهموا عن الإسلام وجاءوا إلى هنا يطالبون بكل أدب وروح طيبة أن نجرى الحوار .. أليس من خلال هذا يمكننا استغلال فترة

الإصغاء بعد صدمتهم التى اعتبر التفريط فى هذه اللحظة هو عكس كل جهد دعوى أو دبلوماسى إيجابى .. أما القول بعدم وجود آلية ممنهجة لإدارة الحوار فالسؤال هنا : وما الذى يمنع وجودها ؟! .. ولماذا ؟! إن علينا أن نحسن الظن ببعضنا البعض.. ان أى جهد من أى طرف يعى الإسلام ويعرف أن يبلغ عن النبى ﷺ ولو آية .. فهو يجزى من ذلك إن شاء الله ولا يضر أحد ولا يضر أى «منهجيات كبرى» أخرى.. إذا حدثت .. أما دعوة الشيخ خالد الجندى لأن يقود الأزهر الحوار .. فنحن نضم صوتنا لصوته .

(الكاتب-الأخبار٩/٣/٢٠٠٦)

obeikandl.com

# ٢٠ - حوار سفراء الغرب فى القاهرة

فى لقاء عبر ثقافى استضافته ساقية الصاوى، ذلك المكان الذى يتسم بروح الديناميكية والحراك والنشا الثقافى البناء، اجتمع فى ١٥ أبريل ٢٠٠٦ «السبت الماضى» عدد من السفراء ورجال السلك الدبلوماسى والإعلام والمفكرين وأساتذة الجامعاتت وعدد كبير من الشباب من الجامعات وجمعيات المجتمع المدنى . ليسجلوا ما أعتبره أول لقاء من نوعه لأسباب متعددة هى :

١ – ان لقاء يقول كفانا ذلك الحديث الذى نتحدث فيه عن الغرب مع أنفسنا دون وجود أى من يمثل الغرب .

٢ – انه لقاء ليس فى غرفة مغلقة كالعادة عندما يتعلق بسفراء الدول الأجنبية.. بل كان لقاءاً مفتوحاً لكل من أراد الحضور والمشاركة.. فلقد كانت الدعوة عامة.

٣ – انه لقاء عن موضوع مهم لتعلم دروس الأزمات السابقة وفتح صفحة تفاعلية – جمعيات يشارك الجميع فى صياغتها فى موضوع «حرية التعبير واحترام الآخر...» .

كان المتحدثون علي وجه الترتيب هم كلمة المهندس محمد الصاوى مؤسس ذلك المكان المتميز ليرحب بالموضوع والحضور معاً، والوزير أحمد ماهر – وزير الخارجية السابق – والسفير البريطانى السير ديريك بلمبلى والسفير النرويجى لا سيم والسفير الهولندى ذيزوان والسفير البحرينى إبراهيم الزوذى ودكورنليس هولسمان الهولندى ومدير مركز التقارب العربى الغربى – الذى مثل هذا اللقاء الافتتاح الأول لهذا المركز المستجد.. ولقد تشرفت بأن أكون مديراً للحوار فى ذلك المسار الذى سعد به الجميع – بفضل من الله – ولقد تم الإعداد والتحضير لهذا اللقاء من خلال بحثين أحدهما لكاتب السطور وجاء بعنوان «إدارة الأزمات المتسمة بإجراء الانفعالات فى سياق الفجوة التواصلية الممتدة بين العالم العربى الإسلامى والغرب : تحليل أطر الإدراك المتباين لأزمة الرسوم الدنماركية كمثال».

وجاءت هذه الدراسة من منظور لغويات التفاوض والبرمجة اللغوية العصبية والقيم الإسلامية العالمية.

أما البحث الثانى فكان للدكتور الهولندى كورنليس هولسمان وجاء بعنوان «خطاب الاستقطابات الحادة» دراسة للمناقشة .

ولقد علق المتحدثون على هذين البحثين فى أثناء الإجابة عن الأسئلة التى طرحتها عليهم فى بداية اللقاء وهى من واقع البحث الذى كتبته وحاولت أن أرصد

فيه طبيعة الفجوة التواصلية الممتدة بين العالم الغربى والعالم الإسلامى.. وهذه الأسئلة هى أسئلة أنية ومستقبلية معًا، ويتعين الإجابة العلمية عبر الثقافية عنها وكذلك تحويل هذه الإجابات إلي أجندة من العمل المشترك لعبور فجوة أو فجوات التواصل الراهنة وهذه الأسئلة بإيجاز هى :

١ – ماذا عن طبيعة الأزمة الممتدة بين العالم العربى الإسلامى والغربى وكيف نوصفها ؟ وكيف ينبغى أن تدار ؟ وما موقع أزمة الرسوم منها «كأزمة ذات طبيعة خاصة – جاءت لتعبر عن ذروة اصطدامية فى الذكر والقيم الثقافية المتباينة إلي حد بعيد ؟ وما السبيل لإدارة ما تبقى من هذه الأزمة وما السبيل لمنع تكرارها ؟

٢ – من اللذى ينبغى أن يدير مثل هذه الأزمات ؟ وماذا عن مفهوم وفكرة الإدارة الجامعية المنظمة لمثل هذه الأزمات .

ففى الأزمة الأخيرة «أزمة الرسوم الشائنة» كان موقع كل من الدبلوماسيين وصناعى القرار فى العالم وخبراء إدارة الأزمات فى موقع متأخر للغاية حيث تمت إدارة هذه الأزمة من قبل «حفنة من رجال الإعلام من أصحاب الوصول السريع للملايين عبر العالم وكان معهم فى بوتقة إدارة تلك الأزمة عدد «كبير من الدعاة».. وتحولت تلك الأزمة إلي استقطابات حادة بين الإعلاميين وبعضهم البعض وبين الدعاة وبينهم البعض.. والمحصلة كانت تشنجًا وغضبًا وآراء متضاربة لم ينتج عنها أي إدارة علمية ومنهجية للأزمة.. مما يجعل إمكانية حدوثها بشكل أو بآخر وارد فى ظل غياب الخبراء وصانعى القرار والدبلوماسية الوقائية الاستباقية العادلة والمتصفة، وليست المتسلطة أو التى تدار لصالح طرف على حساب الآخر.. أو تلك التى تدار بأسلوب الاستعلاء والتهوين .

والأسئلة هي :

٣ – ماذا عن فجوة الفهم المتباين لحرية التعبير ومعادلة فهم هذه الحرية فى إطار المسئولية ؟

٤ – ما السبيل لإعلام أزمات من هذا النوع. يحتاج إلى تدريب عناصر وتثقيفها فى كل من الغرب والعالم العربى الإسلامى ؟

٥ – كيف يمكن إعداد الدعاة المؤهلين لفهم التفاعلات عبر الثقافية المعقدة ؟

٦ – كيف يتم التعامل مع المناهج الدراسية بشكل إيجابى فى كل من العالم العربى والغربى إذا أردنا استباق ومنع الأزمات عمومًا والثقافة خاصة ؟

٧ – ماذا عن مفهوم «اليد الخفية» ونظرية المؤامرة والتعامل مع هذا البعد فى العلاقات الدولية بشكل إيجابى ؟

٨ – كيف يمكننا السيطرة على الغضب والانفعالات فى أجواء الأزمات وتحويل الغضب إلى طريق إيجابى للتفاعل ؟

٩ – مذا عن السياق الأشمل والصعب للأزمات الممتدة بين العالم العربى والإسلامى والغرب فى سياق احتلال جيوش خارجية لأراض من العالم العربى الإسلامى .. وكيف ؟

يعتبر هذا العامل من التوامل المؤثرة للغاية على أى حوار ؟ وعلى علميتى بناء أو هدم جسور الحوار بين العرب والغرب ؟

كانت هذه مجموعة الأسئلة المتداخلة والمشكلة لرحم تفاعلات الأزمة الممتدة (CRISIS MATRIX).. وهى الأسئلة التى تعامل مع بهضا المتحدثون فى ذلك اللقاء المهم.. والذى كان مهماً لفتح حوار ممتد بخصوص هذه الأسئلة المركبة التى بدون الاستقرار على أجوبة لها ولو على المدى البعيد فلن يكون هناك حوار منهجى ومتراكم .

وهنا نقول بأن هذا اللقاء وغيره سيكون بمثابة خطوة أو خطوتين إيجابيتين فى طريق الألف ميل الذى ينبغى لنا أن نسير فيه لصلح – هذا العالم أجمع .

ولعنا نرصد هنا أهم ما تحقق من هذا اللقاء من منطلقات إيجابية وهو الآتى :

١ – أجمع المتحدثون على أهمية الاستمرار للسعى فى الحوار بين العالم العربى الإسلامى والغرب على أساس من الاحترام المتبادل .

٢ – أكد الجميع خاصة السفير البريطانى على أهمية احترام التعدد واسترجع مقتطفات من محاضرة الأمير تشارلز المتميزة والتى ألقاه فى جامعة الأزهر التى تؤكد على احترام العقائد والأديان .

٣ – آثار السفير النرويجى مفهوم «الإسلام الأوربى» (EWRO ISLAM) قاصداً بذلك المسليمن فى الغرب وأهمية إدارة معادلات تفاعلية خاصة بالإندماج مع إحترام خصوصيتهم الدينية «وسنعود لهذا الموضوع فى مقال آخر» .

٤ – آثار سفير البحرين خليل إبراهيم أهمية سن التشريعات الداخلية والدولية المتفق على أساسها فى كل من العالم العربى والغرب بما يحقق احترام حرية التعبير .

٥ – يرى السفير الهولندى ديزوان أهمية الجوار والمزيد منه لمزيد من النهم المتبادل للثقافات خاصة فيما يتعلق بالإدراك المتباين .

٦ – ركز كورنليس فولسيمان على أمية تدريب الإعلاميين ووجود مراقبة إيجابية للتحقق من صحة المعلومات وعدم إخراج الرسائل الإعسلامية عن السياق الثقافى والمهنى بين الغرب والعالم الإسلامى .

٧ – أما الوزير أحمد ماهر فكانت مساهمته مستفيضة فى أهمية تأسيس معادلة لاحترام كل من حرية الرأى واحترام الآخرين كما تطريق للسياق الأشمل للأزمات مع الغرب فى ظل المشكلتين العراقية والصراع العربى الإسرائيلى وأهمية حل مثل هذه الصراعات بأسلوب عادل.. هذا وللحديث بقية والله ولى التوفيق .

(الكاتب–الأخبار٢٠/٤/٢٠٠٦)

obeikandl.com

## ٢١ - «الإسلام الأوربى» وحوار السفراء بالقاهرة

نستأنف ما قدمناه فى المقال السابق «٢٠٠٦/٤/٢٠» عن حوار عدد من سفراء الغرب فى القاهرة، وهو ذلك الحوار البناء الذى دارت وقائعه بين ممثلى دبلوماسية المسار الأول الرسمية المتمثلة في المتحدثين وهم سفراء بريطانيا والنرويج وهولندا والبحرين ووزير الخارجية السابق أحمد ماهر وعدد آخر من السفراء الذين حضروا اللقاء وبين ممثلى دبلوماسية المسار الثانى

Tvack2 Diplomacy أو الدبلوماسية الشعبية المتمثلة فى الإعلاميين والأكاديميين والمفكرين وعدد من طلاب الجامعات المصرية وممثلى المجتمع المدنى .

وسوف أوقف بشئ من التفصيل عند بعض الموضوعات التى أرى أهمية تقديم رؤية تحليلية لها لأهميتها ولمحاولة التعمق الممتد مستقبلاً بخصوصها لإحداث التراكم المنهجى لعبور فجوات التواصل الممتدة بين العالم الربى الإسلامى والغرب.. وسأركز هنا على ما يلى :

(أ) سؤال من الحارضين للسفير النرويجى ذكرتم سيادتكم تعبير «الإسلام الأوربى» Euro Islam وتحدثم عنه بشكل إيجابى .. ولكننا نريد فهماً أعمق لهذا المفهوم المستجد والغامض بعض الشئ بالنسبة لنا ؟

هنا تحدث السفير النرويجى قائلاً : أنه لابد لنا فى أوربا من أن نعطى أولوية التواصل مع مسلمى أوربا لأنهم يعيشون معنا يومياً على الساحة فى أوربا وفى النرويج يمثلون ٢ ٪ من السكان، وعلى سبيل المثال كان لابد من إزالة التوتر الذى حدث مؤخراً بخصوص «الرسوم الدنماركية» التى آثارت غضب المسلمين .. وهنا أقول أن المقصود «بالإسلام الأوربى» هو فهم الإسلام فى سياقه أوربى، بمعنى أننا مثلاً فى أزمة الرسوم دار نقاش كانت أركانه تنصب على حجتين رئيستين هما «أ» كيف يؤكد احترام حرية التعبير كحق إنسانى أساسى فى أوربا من شأنه البحث عن الحقائق وله تعقيداته.. ووجهة النظر هنا «أن هذا البحث يجعل أمانات كل شئ قابلاً للمناقشة والنقد ولكن أؤكد على الحجة الثانية .

(ب) هى أن هذه الممارسة ينبغى أن يكون لها أصولها وقواعدها بحيث لا تكون هناك إساءة لأحد أو لجماعة أو عقيدة وعندنا من القوانين المحلية فى النرويج ما يجرم مرتكبى أفعال التشهير Detamation والسب والقذف Libel/slander وكذلك هناك قانون خاص بمعاقبة من يزدرى الأديان.. وبخصوص «الإسلام الأوربى» فى هذا السياق أو غيره.. فإننا نهدف إلى تنظيم العلاقة بين الحكومة والمواطنين

المسلمين، ولذلك فإن هناك من يمثل المواطنين المسلمين أمام الحكومة النرويجية، مثلها فى ذلك مثل العديد من الدول الأوربية.. وما نسعى له من خلال التواصل المنظم هنا هو توضيح حقيقة أن المجتمع النرويجى والأوربى عموماً هو مجتمع يعيش حالة من «العلمانية» الشديدة وهنا كل شئ قابل للمناقشة والنقد فى إطار الأصول المنوه إليها.. ومن هنا وبسبب هذا الحوار المنظم استطعنا إزالة التوتر الناتج عن أزمة الرسوم، والقاعدة هنا أن التعامل المستمر مع جميع القضايا من خلال الحكومة وممثلى المواطنين المسلمين فى النرويج.. من هنا فإن السفير النرويجى قد أجاب عن المقصود «بالإسلام الأوربى» وتعليقنا لمزيد من النقاش المستقبلى يتمثل فى التساؤلات التالية :

(١) لا يزال مفهوم «الإسلام الأوربى» غامضاً فى بعض جوانبه.. وكما جاء فى طرفة بخصوص هذا الأمر من خلال هذا السؤال: هل من علاقة بين مصطلحى «الإسلام الأوربى» Euro-Islam مصطلح مثل «البترو دولار» الشهير dollar-Petro فربما تنشأ عملية إسلامية أوربية جديدة يمكن صرفها لمزيد من التعاون الاقتصادى بين العالم العربى الإسلامى والغرب ؟!

(٢) إلى أى مدى ترتبط عملية (إندماج المسلمين) فى المجتمعات أوربية التى يعيشون فيها بالعلاقة بين أوربا والعالم العربى الإسلامى؟ وما مواصفات الدور الذى ينبغى أن يلعبه كل طرف فى هذا الموضوع المهم بأسلوب مقبول من الجميع؟ وما المقصود «الإندماج» INTEGVATION ؟ وهنا من يسأل البعض : أليس من حقوق الإنسان (الإندماج) من (عدمه) خاصة إذا كان فى هذا ما يؤثر سلباً على الخصوصية الثقافية فى سياقات بعينها ؟ ما هى إذن معايير هذا «الإندماج» ومتطلباته خاصة من منظور حقوق الإنسان ؟

كل هذه الأسئلة هى أسئلة مركبة ولابد من الاستمرار فى محاولة الإجابة عليها.. مستقبلاً لكل من يسعى لعبور الفجوات الراهنة بين العالم العربى الإسلامى والغرب.. بل ولكل من يسعى للتعامل إيجابياً مع موضوع الإسلام والمسلمين فى أوروبا وفى الغرب عموماً .

(٣) ماذا عن مسألة استصدار قانون دولى يمنع الإساءة لمعتقدات الآخرين ؟ لا شك أن هذا السؤال لا يزال محورياً ولا يزال على أجندة دول العالم العربى الإسلامى من حيث التأكيد على عدم المساس بالمقدسات والعقائد بشكل واضح، بلا غموض أو انفلات ؟

ولقد تعامل السفير البريطانى السير ديريك بلمبلى مع هذا السؤال، وذكر أنه وبالرغم من مشروعية هذا الطلب الذى يوجد له أساس فى كل القوانين المحلية

الأوربية، إلا أنه من الصعب استصداره على المستوى الدولى ودلل على ذلك بأنه يوجد مشروع قانون جديد فى بريطانيا يجرم الكراهية للأديان وازدرائها.. ولكنه لا يزال يواجه صعوبات كبيرة فى استصداره وتفسيراته .. وإذا كان هذا هو الحال فى بلد كبريطانيا فإن استصداره دولياً سيواجه صعوبات كبيرة.. هذا مع الموافقة الضمنية للسعى فى هذا الإتجاه .

ومن هذا لابد من أن نضع مجموعة من الأسئلة للبحث والنقاش المستقبلى تتمثل فى الآتى :

(١) أن معظم القوانين المحلية الأوربية.. عندما تجرم ازدراء الأديان فهى تجرم ازدراء المسيحية فقط وفى هذا خلل كبير ومعايير مزدوجة أيضاً .. فكيف – على الأقل – لهذه القوانين التى هى فى الحقيقة ونظراً للحالة العلمانية الأوربية تكاد لا تنفذ تماماً أى على الرف.. ولكن ما السبيل لكى يشعر المواطن الأوربى المسلم – وبالتالى الشعور العام للمسلمين بالحماية المحلية القانونية لحق عدم الإساءة إليه ؟

هذا سؤال لا يزال محورياً وللحديث بقية والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

(الكاتب–الأخبار٢٧/٤/٢٠٠٦)



obeikandl.com

## ٢٢ - «الخصخصة» وصورة «العدو الاقتصادي»!

الدراسات العلمية التى تناولت مسألة «صورة العدو» أيًا كان هذا «العدو» – تعتبر من الدراسات الآخذة فى النمو.. وهى دراسات انطلق من واقع ممارسات دولية كثيبة .. فصورة «العدو السياسى» معروفة ونجدها فى كثير من الخطابات السياسية لزعماء كثيرين فى العالم عندما تكون دولهم فى حالة حرب أو صراع حاد مع عدو ما» .

وهنا نجد الجدة فى أوصاف هذا «العدو» أو ذاك «وفى هذا الخطاب السياسى أو ذاك، فمعظم خطابات الرؤساء الأمريكيين أيام الحرب الباردة انهالت على الاتحاد السوفيتى السابق بكل صور العدو التى تنفر منه «كالعدو الأحمر الدموى» الذى تنطبق عليه صور «القهر» و «الديكتاورية» و «الستالينية» و «قتل حقوق الإنسان» إلخ... ولكنا تعلمن ماذا حدث بعد إنتهاء دور «الاتحاد السوفيتى» السابق وإنهياره ووجود العالم فى حالة من أحادية القطب الأوحد بعد أن كان عالمًا ثنائى القطبية.. ولكن يبدو أن فكرة تصنيع العدو صناعة الخوف من ذلك العدو (ENEMY MANUFACTURING) هى فكرة ليست سياسية فقط اليوم بل هى فكرة سلبية جداً من الناحية «الثقافية» و «الاقتصادية» ... فعلى الصعيد الثقافى، انتقلت الدراسات التى تتحدث بل وتهندس لاستهداف عدو من السياسة إلى الثقافة فوجدنا عدد متدفق من الصور والمصطلحات المصاحبة للإسلام والمسلمين «كعدو جديد» فوجدنا مصطلحات «كالعدو الأخضر» آراء الخطر الأخضر «والفاشية الإسلامية (ISLAMO FASCISM) و «الحل النهائى» أى ضرب ولول اقتضى الأمر ثلث العالم الإسلامى ودوله كحل نهائى للخلاص من «الشمولية» و «قهر حقوق الإنسان» وعدد كبير من المصطلحات التى تهيئ لحرب عالمية وصدام حضارات كبير.. وهذا ما وصلت الأمور فيه إلى ذروة بالرسومات الشائكة المعروفة والمشيئة لمن قاموا بها أساساً.. وإذا كانت هذه الممارسات قد تم تناولها فى دراسات ومقالات إلا أن الجديد والغريب هو تدريس كروسات فى جامعات دولية مرموقة تحت كورسات «تسمى كورسات» «الحرب التقاصدية» «واستخبارات الاقتصاد» إلى ما ذلك من مسميات توضح إتجاه العالم نحو الصراع الجاد بدلاً من ترشيد مثل تلك الصراعات وبناء علاقات سياسية وثقافية واقتصادية سوية تعتمد مبدأ «فليكسب الجميع».. وهو مبدأ لا يزال يدافع عنه كل العقلاء فى العالم لأنه الأبقى والأصلح للعالم أجمع.. ولكن ما يهمنا فى هذا المقال هو أن تسلط الضوء على إرتباط «صورة العدو» السياسى والتاريخى والثقافى والاقتصادى فى حالات بعينها.. من هذا أسلط الضوء

على مضوع لم يأخذ حقه فى أعلامنا العربى بالقدر الكافى، وهو إنسحاب شركة موانى دبى من عرضها لشراء حصص من شركات أخرى لإدارة عدد من الموانيئ المأمريكية بعد أن تعرضت محاولات الشركة للاستثمار فى الولايات المتحدة لاعتراضات صارخة من الكونجرس الأمريكى.. وعلى الرغم من الصورة الاقتصادية والمهنية الدولية الرفيعة لشركة الموانئ الاماراتية، وهو الأمر، الذى يشرف كل عربى بعد كل تلك الصور الهزلية التى يراد بها إغتيال الشخصية العربية والإسلامية معنوياً فى الاعلام الغربى عموماً، إلا أن الصورة التى غلبت على كل الدلائل هى صورة العرب والمسلمين السلبية فى الولايات المتحدة والغرب، وعلى الرغم من إعتراضات الرئيس الأسبق كلينتون وحتى الرئيس بوش على التصورات الخاطئة عن هذه الشركة الدولية العربية العملاقة، إلا أن المخاوف كانت أعمق بسبب تعمق وتجذر الصورة الذهنية السلبية التى زرعها الإعلام عن العرب والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر بطريقة متجاوزة لكل الأعراق والقيم.. مما جعل صورة العدو هذه المرة تأخذ شكلها الاقتصادى، وعموماً فإن هذا الحدث الذى مر مرور الكرام فى اعلامنا العربى إلا أنه لمن يمر كذلك فى الاعلام الغربى، فلقد تم من خلاله فتح موضوع الاستثمار والخصخصة وبيع الشركات فى الواقع الأمريكى، كما فتح مؤخراً فى واقعنا المصرى وهو ما سوف أنتاوله فى مقالات قادمة بإذن الله – ولكن أود أن أرصد هنا ملاحظات مهمة لتأمل الخصخصة والبيع فى أمريكا وهى :

١ – النقطة الرئيسية هى «لمن تبيح ؟!» .. فلم تكن شركة دبى فقط هى موضع التحفظ ولكن يوضح اللف هنا أن التحفظ أو الاشتباك كان من قبل على «اليابانيين حينما تمكنوا من شراء مركز روكفلر للتجارة، وفى الصيف الماضى قامت الدنيا ولم تقعد بمجرد محاولات قيام شركة البترول الصينية، لشراء «شركة النقط الأمريكية» وهو الأمر الذى أثار حفيظة «الوطنيين الأمريكيين» وتصوريهم لمجرد محاولة الشراء على أنها تكاد محاولة عدائية ضد أمريكا وإنتهاكاً لحرمانها ولقد كان من شأن هذه العاطفة الافتراضية الشديدة أن أجبرت الشركة الصينية على الإنسحاب والتراجع عن محاولة الشراء، وكأنها طائرات مغيرة أجبرت على الفرار ذعراً من شدة المقاومة وتم الحفاظ على الشركة الوطنية الأمريكية للنفظ .

٢ – الموضوع للأمريكيين فى مسألة البيع هو لا وألف لا .. لأى مكان استراتيجى .. أى مكان ينتج سلعاً استراتيجية، لا لبيع أو خصخصة منشأة للطاعة ولا لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، ولا لمنشآت المياه كل هذه يطلقون عليها مصطلح . البنية التحتية الحرجة (CRITICAL INFRASTRNACTUNE) .

٣ – أن الأمريكيين الذين يخافون على حريتهم وقوتهم الاقتصادية يرفعون اليوم

شعار – العاطفة الحمائية PROTECTIO NIST Gentiment.. ويقولون لا بأس حتى وإن أثر ذلك على العولمة الاقتصادية وقيادة أمريكا «للاقتصاد الحر» .

٤ – الأمريكيين يقدرون الاستثمار الأمن وهو كل ما بدر تلوبليونات بعيداً عن الأمور الاستراتيجية والبنية التحتية الحرجة.. فالاقتصاد الحر عندهم هو أن يكونوا أحراراً فى أن يفعلوا ما فى صالح بلدهم.. وللحديث بقية .

وكان الله فى عوننا .

(الكاتب–الأخبار١٣/٤/٢٠٠٦)

obeikandl.com

## ٢٣ - حوار مع رئيس الوزراء الهولندى السابق

حضر إلى مصر مؤخراً البروفيسور فان اخت رئيس الوزراء الهولندى السابق بهدف الافتتاح الأولى لمركز التقارب بين العرب والغرب الذى تحمس لفكرته ورأى ومعه حشد من الشخصيات العامة المصرية فى أهمية أن يكون له دور إيجابى فى عبور الفجوة الكبيرة بين العالم العربى الإسلامى والغرب والقائمة اليوم والتى تحتاج إلى جهود كبيرة لاحتوائها ومنع تفاقمها والسعى لعبورها لآفاق أفضل.. ولا شك أن هذا سعى حميد إلا أننا ونظراً للمستجدات المتلاحقة التى أرى أنه لم يتعلم المتسببون فيها من دروس الماضى، إننا بحاجة إلى عشرات المراكز من هذا النوع - على أن تقوم بهذه المهمة بحرفية ومهنية وهدف واضح لا تحيد عنه أو أن تسقط فى فخاخ بعيدة من ذلك الهدف السامى وهذه امهمة كبيرة وشاقة وتحتاج إلى تكاتف كل الجهود المخلصة .

لم تكن زيارة رئيس الوزراء السابق فقط لكى يضغط على زرار فى جهاز الكمبيوتر من ساقية الصاوى التى استقبلته ومعه عدد من الشخصيات العامة المصرية لكى يفتتح موقع مركز التقارب العربى الغربى أو أن يدشن المرحلة الأولى من هذا الافتتاح إلى أن تستكمل باقى الجهود المتطلبات اللازمة ولكن قام السيد فان آخت بإلقاء محاضرات مهمة فى كل من جامعة القاهرة - بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وبالجامعة الأمريكية كما كان له لقاءات وحوارات مع أطراف كثيرة معنية بمهمته حيث التقى بالقيادات الدينية فى مصر وبوزير الخارجية السيد أحمد أبو الغيط وبآخرين.. ولقد كان لى وفى اللحظات الأخيرة من زيارته حوار معه رتب له الدكتور هونسمان كورن ليوسى الصحفى الهولندى المعروف ومدير مركز التقارب بين العرب والغرب.. وكان ذلك مقيداً للتعرف على أهم دلالات زيارته وآرائه التى وجدت الكثير من الارتياح والقبول ممن تحدث إليهم فى مصر وقبل أن أقدم مضمون ودلالات وقائع ذلك الحوار للقارئ الكريم أذكر سريعاً أهم ما يتعلق بهذه الشخصية الثرية فيما يلى :

* الانطباع الأول لمن يتحدث مع فان آخت يجده وبالرغم من تقدمه كثيراً فى العمر إلا أنه فى غاية الحماسة والوضوح الحاد.. لغته لا تحتمل المعانى الثنائية ويتجنب أسلوب المراوغة أو مسك العصا من المنتصف كما يحدث كثيراً فى لغة الدبلوماسيين.. عندما أجريت معه الحوار كان يرتدى جاكت زهرى شبابى «روش طحن» وكان فى غاية الشبابية والحماسة وكذلك البشاشة .

* يؤمن فان آخت بالأخلاق فى السياسة وأهمية تبنى المعايير العادلة فى

العلاقات الدولية كأساس للتعايش السلمى فى العالم أجمع وبتطبيق هذه المعايير خاصة فيما يتعلق بمنطق الشرق الأوسط .

* ينتمى إلى جمعية دبلوماسية تضم عدداً كبيراً من الرؤساء السابقين والشخصيات الدولية ومنهم الرئيس الأسبق چيمى كارتر على سبيل المثال، وهذا الشحد من هذه الشخصيات يهتم بنشر مفاهيم السلام الدول العادل والحافظ على بيئة كوكب الأرض حتى لا يصل الأمر إلى حالة من التدهور البيئى «المحتمل تماماً» والتى قد تجعل من الحياة على هذا الكوكب مكاناً يصعب على الآدميين العيش فيه ولقد أكد هذا البعد الأمير تشارلز فى زيارته الأخيرة أيضاً فى مصر قائلاً : «نعم علينا الاهتمام بالبعد الدينى .. لأنهم لم يكتشفوا لنا كوكباً آخر للانتقال إليه إلى الآن !!» .

* يؤمن ڤان آخت إيماناً واضحاً بحق الشعب الفلسطينى فى أن تكون له دولته المستقلة وسيادته عليها، وكذلك بحقه فى المقاومة المشروعة للإحتلال الذى وصفه بأنه «احتلال وحشى» BRUTAL OCCUPATION .

* يعتبر أمريا دولة مارقة ROUGE STATE وخارجة عن الشرعية الدولية طبقاً لذات التعريف الأمريكى لهذا المصطلح، وينادى بألا تتواجد قوات هولندية فى العراق وبأن تسارع فى الانسحاب ليس من باب تجنب تعرضها للمخاطر القائمة فى العراق ولكن من باب التوقف عن المساهمة فى الاحتلال غير المشروع للعراق والذى أقدمت أمريكا عليه خارج نطاق الشرعية الدولية .

كان ما سبق معلوما موثقة على شبكة الإنترنت إما مضمون الحوار الذى أ﴿ريته معه ودلالته فيتمثل فيما يلى :

١ – بخصوص انطباعاته عن مصر، وخاصة فيما يتعلق بعلاقات المسلمين والأقباط التى تستحوذ على قدر مهم من اهتمام الزائرين لمصر من كثرة ما يروج من معلومات – كثير منا خاطئ – فى وسائل الإعلام العربية، قال ڤان آخت أنه رأي علاقات نموذجية وأنه بعد لقاءاته الكثيرة فى مصر، تأكد له الانطباع بأن أحداث ما يسمي بالفتنة الطائفية لا تخرج عن كونها فى معظم حالاتها أحداثاً فردية وأن انطباعاته من السياقات الأخرى عن مصر إيجابية .

٢ – بخصوص سؤالى عن الموقف الراهن وخاصة الموقف الأوربى الذى أوقف معوناته عن الشعب الفلسطينى بسبب صغرد خنلس للسلطة وتقييمه للوضع برمته بدأ بالقول «أننى أشعر بالخجل الشديد بأننى أوربى».. فقطع المعونة عن هذا الشعب فيه ظلم كبير وموقف غير إنسانى وكذلك يتم عن معايير مزدوجة.. حيث طالبنا الفلسطينيين وغيرهم بالديمقراطية فى بلادهم.. وبعد أن وضح للعالم أجمع وتحت أعين كل المراقبين دقة التنفيذ للتعبير عن رأى الشعب الفلسطينى فى الانتخابات

الأخيرة والذى أتى بحماس إلى السلطة.. فإن العقاب الذى حدث هو شئ مخز ولا ينبغى أن يكن !!؟ .

وتطرق إلى القول بأن الطرف الذى ينبغى أن يلام من قبل المجتمع الدولى هو إسرائيل واحتلالها للأراضى الفلسطينية والسؤال هو من الذى أفسد كل محاولات السلام التى تمت ؟! إسرائيل تريد إعتراف حماس بها.. والسؤال الأهم ماذا فعلت إسرائيل عندما إعترفت بها منظمة التحرير الفلسطينية ؟! النتيجة معروفة لم تصل السلطة الفلسطينية فى ظل الاستجابات إلى المطالبة الإسرائيلية إلا إلى نقطة الصفر التى رأيناها قبل صعود حماس.. الأمور ينبغى وأن تكن فى نصابها وعلى المجتمع الدولى التدخل الإيجابى وليس لحصار وتجويع الشعب الفلسطينى.. فهذه مأساة كبرى !!» .

لقد أكد فان آخت مواقفه التى أعلنا منذ سنوات ففى ٢٤ أبريل قال بالنص الموثق على شبكة الإنترنت أن «كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل قد انتهكتا القانون الدولى وبصورة خطيرة وقال أن التأييد المطلق من قبل بوش لإسرائيل هو فعل غير عادل وغير مسئول !!» .

٣ - بخصوص سؤال عن كيفية التعامل مع السؤال الكبير عن «السياسة والأخلاق» فى العلاقات الدولية المعاصرة يحتاج الأمر إلى سياق تفصيلى آخر ولكن الخلاصة هى «أنه بدون أخلاق ومعايير متسقة فى العلاقات الدولية.. فإن العالم يحفر قبره !! والعياذ بالله». لقد أعجبتنى آراء السيد فان آخت فى مجال الأخلاق والسياسة ورأيتها تعبر عن حقيقة النبض الإنسانى السوى ولا شك أن هناك الكثيرين من أمثال فان آخت فى أرجاء العالم ولكن ماذا عن أغلبية السياسيين الإنتهازيين فى هذا العالم !! عندما طالبته بإرسال بعض ما كتبه وما تم إصداره من خلال جمعية الرؤساء السابقين التى أشرنا لها.. قال ببشاشة سأرسل لك ذلك بالفاكس.. فبادرت ولماذا لا ترسل لى هذه الأوراق بالبريد الإلكترونى؟ فهذا أوفر . فأجاب قائلاً : «مع الأسف أنا لا أنتمى لتفاعلات هذه الشبكة الإلكترونية.. وقال ساخراً .. أنا أنتمى للعصر الحجرى» .

فهل الآراء التى أدلى بها تعبر عن ذلك .. على القارئ الكريم أن يتأمل هذه المقولة الأخيرة .

وللحديث بقية والله ولى التوفيق .

(الكاتب-الأخبار ٢٠٠٦/٥/١٨)

## ٢٤ - رسالة إلى العقلاء فى العالم .. والمأزق الراهن ..

يقوم السيد خافير سولانا بجولة فى كل من مصر والمملكة العربية السعودية ودول الشرق الأوسط فى محاولة لاحتواء أزمة الرسوم الشائنة، كما نشطت كذلك عدة شخصيات مهمة فى العالم لتخرج عن الصمت السلبى الذى ترك الساحة للعابثين بأمن واستقرار الشعوب فى هذا العام.. تحاول كل هذه الشخصيات الكبيرة أن تقول كلمة الحق والعدل التى ينبغى أن يتفق عليها أى إنسان «سوى» وهى أنه لا ينبغى أن يكون هناك أى مساس أو اعتداء على المعتقدات والرموز الدينية من قبل أى طرف إلى طرف آخر داخل المجتمعات والثقافات وعبرها .. وهذا ما يتمشى كذلك مع كل الأعراف والقوانين والشرعية الدولية.. وهذا ما سارع إلى تأكيده الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان، وخافير سولانا وبيل كلينتون أو عدد كبير من الشخصيات الدولية. وكان آخر تصريح أطلعت عليه فى هذا الصدد «٢٠٠٦/٢/١» جاء على لسان رئيسة أيرلندا التى وصفت الرسوم «الشائنة» التى نشرتها بعض الصحف المسيئة للرسول ﷺ بأنهاء مستفزة ووقحة .. ومن المطلوب بعد ذلك ليس المزيد من التصريحات أو حتى الاعتذارات الرسمية والتحركات للتهدئة هنا وهناك فقط، بل المطلوب اليوم منظومة متكاملة يتم تدشينها عبر العالم؛ ومع ذلك تبدو فى الأفق تطورات مؤسفة أخرى، مثل «أن الشركة التى انتجت الفيلم الذى أساء إلى الإسلام لمخرجه الهولندى ڤان جوخ، تعتزم القيام بإنتاج فيلم «أكثر سفالة».. وكما قرأت عن تصريحات الشخصيات السوية التى أدانت الصحيفة المتسببة فى أزمة الرسومات، سمعت مؤخراً كذلك «أن عددا كبيرا من البريطانيين يؤيدون إعادة نشر الرسوم المسيئة والشائنة»، هذا بالرغم من أن القانون البريطانى أكثر صرامة ووضوحا من القوانين الدانيماركية أو الفرنسية أو الأوربية الأخرى، من حيث إدانته الواضحة لكل ما يمس المعتقدات والرموز الدينية. كما يبدو للمحلل الموضوعى أن هناك يداً خفية واضحة هناك دلائل كثيرة على وجودها؛ لضرب علاقة العالم العربى الإسلامى مع أوربا، خاصة وأن وجود الشىء ونقيضه التام فى ملف هذه الأزمة يتطلب منا جهودا ضخمة علمية وسياسية وإعلامية وإسلامية خاصة، تنطلق وتختبر الافتراضات التى قد تحل الأزمة أو تتسبب فى المزيد من تفاقمها. وفيما يلى اجتهاد متواضع أضعه أمام الجميع لمنطلقات افتراضيات التعامل مع هذه الأزمة وهى:

١) لابد من وجود «وتدشين» حشد كبير من الخبراء والسياسيين والإعلاميين ممن يدعمون ما يمكن تسميته بحركة «حوار الحضارات والثقافات لا صدامها».. بحيث يمكنها «ممارسة التحركات المستمرة التى لا يكل ولا يمل أنصار حركة

«صدام الحضارات» منها، والتى تستهدف أولا العالم العربى والإسلامى.. وأدعو إلى أن نتبنى هنا فى مصر هذه الحركة الكبيرة التى ينبغى أن يكون للأزهر دوره المحورى فيها.

٢) لابد من اتفاق الخبراء على أسلوب فهم وتحليل الثقافات، فهذا موضوع مركب ومعقد وبه فجوات كبيرة، ولقد قدمت تفاصيل كثيرة بشأنه فى مؤتمر دولى كبير انعقد فى يناير من هذا العام «٢٠٠٦» وأشرت فيه إلى فجوة الرؤية العلمية بين الخبراء فى موضوع إدارة الاختلافات الثقافية. وسأعود إلى ذلك تفصيلا فى مقال قادم بإذن الله.

٣) لابد من الكف عن التعتيم الزائد والمتكلف وغير العلمى من قبل الكثيرين فى الغرب أولاً، وثانياً فى العالم العربى الإسلامى عن الحديث عن الغرب بصفته كتلة صماء واحدة، وكذلك العالم العربى الإسلامى. فهناك عناصر الغالبية الصامتة- فى كل من العالمين - الرافضة للاختطاف الحادث بين متطرفى صدام الحضارات على الجانبين، أو المستجبين لهم عن قصد أو عن غير قصد، وخاصة على الجانب الغربى الذى ظهرت منه جهارا نهارا الدعوة للصدام وأخذت شكلا خطيرا من أشكال التنظير العلمى الزائف بالطبع .. ولعدد معروف جدا من أسماء الباحثين الغربيين «الممكنين»، فلابد من مناظرتهم علميا، ولقد قمت بمجهود فردى فى هذا الصدد ولكن لابد من الجهود الجماعية، فمناظرتهم لا تعنى التحاور معهم بقدر ما تعنى منع استقطابهم للجماهير التى ينقصها المعلومات الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، ولو كانت تصلهم لعرفوا «معنى توقير النبى ﷺ فى الثقافة الإسلامية»، ولفهموا التحرك الغاضب عندما تمت الإساءة لشخص الرسول محمد ﷺ، ولعلموا كذلك من هو «الصادق الأمين» ومن هو «سيد الخلق أجمعين».. إن الحوار إذن مهم لتوصيل حقائق المعلومات، ووقف استقطاب «أنصار الصدام الحضارى» للجماهير فى كل من الغرب والعالم الإسلامى؛ ليحققوا من هذا الصدام مآرب سياسية واقتصادية شيطانية. كذلك فإن الحوار يستدعى إقامة رؤوس كبارى قوية مع كل أصحاب العقول المنصفة فى الغرب الذين يعرفون وينطلقون من أرضية علمية وأخلاقية «وسنعود إلى ذلك تفصيلا» تجعل الحوار وليس الصدام هو الأمل الثابت بين الشعوب، ولكن ينبغى أن تكون هناك القناة التفاعلية القوية التى أرى أن القاهرة ينبغى أن تطّلع عليها؛ حتى لا يكون الصدام والصراخ والفوضى صاحب اليد العليا وفى هذا فليتنافس المتنافسون، والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان.

(الكاتب-الأخبار١٥/٢/٢٠٠٦)